المطلب الثاني

شذوذات العصرانيين في ميادين الفقه المختلفة

١ ـ موقفهم من الحدود الشرعية.

٢ ـ إباحتهم للربا.

٣ ـ موقفهم من قضية المرأة: حجابها، وحقوقها السياسية والاجتماعية.

٤ ـ إلغاء أحكام أهل الذمة.

لقد خرج العصرانيون علينا بفقه غريب شاذ، يريد تبرير الواقع المعاصر، لإدخال كثير من القيم الغربية في دائرة الإسلام. ذلك أن موقفهم من النصوص الشرعية عجيب، فإذا كانت الآية واضحة الدلالة، والأحاديث النبوية صحيحة. قالوا: إن هذه النصوص كانت لمناسبات تاريخية، لا تصلح لعصرنا الحاضر، وإذا كانت أحاديث آحاد قالوا: لا يؤخذ من خبر الآحاد تشريع ولا تبنى عليه عقيدة، أو ألغوا بعض الأحاديث الصحيحة بحجة أنها سنة غير تشريعية... ثم يتهمون الفقهاء بعد ذلك بالجمود وضيق الأفق!!.

إن هذه التجاوزات ـ لو أخذ بها ـ فلن تترك ثابتاً من ثوابت الإسلام إلا وحاولت مسخه أو تشويهه، ومن ثم فالعصرانيون يرددون دائماً آراء من سبقهم من أصحاب المدارس العقلية، أو ترهات المستشرقين وأحقادهم.

١ ـ موقفهم من الحدود:

حاول العصرانيون تبرير رفضهم لإقامة الحدود الشرعية، بحجج واهية كالشفقة، وأن قطع اليد أو الرجم، ما هي إلا قسوة ووحشية، لا تناسب العصر الحاضر؟!

هكذا يملي عليهم أساتذتهم من المستشرقين - يهوداً أو نصارى - وإلا فإن الرسول ﷺ غضب أيما غضب، عندما أراد أسامة بن زيد - حِبّ رسول الله - أن يشفع بالمرأة المخزومية التي سرقت...

«فالمجني عليه أحق بالشفقة من الجاني».

ولأساطين العصرانية آراء عجيبة في هذا المجال...

● **فالشيخ عبد الله العلايلي**: مثلاً، يرى أنّ إقامة الحدود لا تتم إلا في حال الإصرار، أي المعاودة تكراراً ومراراً، إذ أن آخر الدواء الكي.. وبلغ من استهزائه بالحدود الشرعية أن قال: «إن إنزال الحد لا يتفق مع روح القرآن الذي جعل القصاص صيانة للحياة، وإشاعة للأمن العام، وليس لجعل المجتمع مجموعة مشوهين: هذا مقطوع اليد، والآخر مقطوع الرجل والآخر مفقوء العين، أو مصلوم الأذن، أو مجدوع الأنف»[1].

أما الرجم: فيقول فيه بمذهب الخوارج: «لا رجم في الإسلام كما هو مذهب الخوارج عامة، ومنهم من يعتد بخلافه فقهياً... على أن ما شاع من قول بالرجم يعتمد على طائفة من الأحاديث لم ترتفع عن درجة الحسن، منها الحديث المتعلق بماعز بن مالك، والحديث المتعلق بالغامدية الأزدية[2]. ثم يقول: «ولا يتسنى لزاعم متزمت اتهامي بأني أنكرت نصاً من القرآن، لأني جعلته أقسى العقوبات الزواجر، وأقصى الروادع، التي يلجأ إليها، وذلك على نحو من التأويل المقبول الذي لا يحمّل النص ما لا يحتمل»[3].

ثم يقول: «ومهما يكن فالرأي عندي في الحدود مطلقاً أنها في الشريعة العملية ليست مقصودة بأعيانها، بل بغاياتها، ولا يلجأ إليها إلّا عند اليأس مما عداها»[4].

---

(١) أين الخطأ: عبد الله العلايلي / ص ٧٩ - ٨٠/.

(٢) أين الخطأ (ص ٨٧). العلايلي.

(٣)(٤) أين الخطأ: عبد الله العلايلي/ ص ٩١، ص ٨٩/.

وما دام باب الاجتهاد مفتوحاً وميسوراً عند هؤلاء، فلا عجب أن يبادروا إلى تطوير الأحكام الشرعية، وأن يذهبوا فيها مذهباً عجيباً.

وحد السرقة: عند أبي زيد الدمنهوري يتلخص في «أنه من لم يتعود اللصوصية، لا يعاقب بقطع يده لأن قطعها فيه تعجيز له، ولا يكون ذلك إلا بعد اليأس من علاجه»[1] وإلى هذا الرأي ذهب المستشار مصطفى كمال المهدوي، وأيد رأيه الدكتور مصطفى محمود، وزعم أن فيه التزاماً واحتراماً وأن فهمه جدير بالاستماع والتأمل والبحث[2].

والزاني والزانية: في عرف هؤلاء، لا يقام عليهما الحد إلا أن يكونا معروفين بالزنا، وكان من عادتهما وخلقهما، فهما بذلك يستحقان الجلد[3].

ولحسين أحمد أمين فتوى عجيبة في حد السرقة، عندما يقول: «لقد كان الاعتداء على الساري في الصحراء بسرقة ناقته، بما تحمل من ماء وغذاء وخيمة وسلاح في مصاف قتله. لذلك كان من المهم للغاية، أن تقرر الشريعة عقوبة جازمة رادعة بالغة الشدّة لجريمة السرقة في مثل هذا المجتمع»[4].

٢ ـ إباحة الربا في البنوك:

وقد بدأ ذلك الاجتهاد، محمد عبده، وتلميذه الشيخ رشيد رضا،

---

(١) ينظر تفسير الهداية والعرفان، وكان قد حكم على الكتاب بالمصادرة وعلى صاحبه بالزيغ والضلال/ نقلاً عن الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم: محمد حسين الذهبي /ص ٩٤/ دار الاعتصام /١٣٩٦ هـ.

(٢) مجلة صباح الخير العدد /١٠٩٣/ ١٦ ديسمبر /١٩٧٦ م مقال: قطع اليد في القرآن: د. مصطفى محمود.

(٣) الهداية والعرفان: ص ٢٧٤.

(٤) دليل المسلم الحزين: (ص ١٤١) طبعة مدبولي /نقلاً عن: إسلام آخر زمن: الأستاذ منذر الأسعد /ص ٨٤/ دار المعراج /١٤١١ هـ.

بحجة الحفاظ على اقتصاد البلاد. والربا المحرم عند هؤلاء هو الربح المركب، أي الذي يكون أضعافاً مضاعفة. وقد فصلنا آراء هؤلاء فيما سبق[1].

وممن قال بذلك من المعاصرين: الشيخ عبد الله العلايلي، وهو يكرر ما قاله أسلافه. يقول: ما دام المصرف لا يزيد على أنه مقر سمسرة بتقاسم المردود مشاركةً مع من أسلم إليه مالاً، مفوضاً إياه ليعمل به، حيث قضت خبرته، ولا قائل بحرمة عمالة السمسار». ويرى «أن المسألة من أصلها لا تخرج عن كونها من خداع الألفاظ الذي كثيراً ما يكون مطية للخطأ، فقد أطلقوا على ما يأخذه المستثمر فائدة مال لا سعي فيه، فأوهمتهم كلمة «الفائدة» أنها ربوية، وكان هذا التوهم من خداع الألفاظ فقط، لأنه لا ضمانة حتمية للمال الأصلي نفسه... وجملة القول في المسألة: إما أنها من الضرورات المبيحة، وإما أنها شكل من القراض، وهما سيان في الإفضاء إلى النتيجة الواحدة[2].

ومعظم العصرانيين يبيحون الربا، على ما سبق بيانه، ومنهم أبو زيد الدمنهوري إذ «يجعل الربا المحرم شرعاً هو الربح الزائد عن حده في رأس المال، وتقدره كل أمة بعرفها»[3]. فحرمة الربا واضحة، ونصوصه قطعية في الكتاب والسنّة، وكذلك قضية الحدود، إذ ورد تحريم السرقة في الكتاب والسنة وطبق الرجم على عهد رسول الله ﷺ، وعهد أصحابه رضي الله عنهم، ولذلك فمن فضول القول أن نناقش هذه الفتاوى، لأنها واضحة الضلالة والانحراف، وخارجة عن إجماع فقهاء الأمّة خلال عصورها المفضلة.

---

(١) ينظر المدرسة الإصلاحية: الباب الأول «الدعوة إلى فتح باب الاجتهاد» ص ٥٠ ومثلها آراء سيد أحمد خان / الفصل الثالث من الباب الأول ص ٧٧ وما بعدها/.

(٢) أين الخطأ: عبد الله العلايلي / ص ٦٨ ـ ٦٩/.

(٣) الهداية والعرفان: ص ٥٣، وانظر منهج المدرسة العقلية في التفسير د. فهد الرومي / ص ٧٣٩/ ففيها تفصيل عن هذا التفسير.

يقول الشيخ محمد الشنقيطي في هذه الفتاوى المنحرفة: «أما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السماوات والأرض... كدعوى تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، وأن الرجم والقطع ونحوها أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان... إلخ»[1].

● ويكفي أن نعلم أن الأمم عندما ألغت القصاص في جاهليتها المعاصرة ـ قد شاعت فيها الجرائم، وضجت المحاكم وابتليت المجتمعات، فشاعت الفوضى ونضب معين الأمن، وخاصة في مجتمعات الغرب، فهل يرضى العصرانيون لأمتهم أوحال تلك المجتمعات؟! ألا يفيقون ويرجعون عن متابعتهم إياهم إلى جحر الضب؟!

أما الخوف على الاقتصاد من إباحة الربا فقد جعل الهلع شديداً وشبح الفقر قوياً، لأن الله تعالى قد آذن مرتكبي هذه الكبيرة بحرب إن لم يتوبوا قال تعالىٰ: ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، وهل هناك أشد ابتلاء من هذه الحرب حيث القلق يسيطر على الناس غنيهم وفقيرهم، مع قلة في البركة وزيادة الضنك الشديد.

٣ ـ موقفهم من قضية المرأة:

لقد اهتم العصرانيون بقضية ما يسمى بتحرير المرأة، وإعطائها حقوقاً سياسية كالمرأة الغربية، ودعوا إلى الثورة على الحجاب وعلى تعدد الزوجات وإباحة الطلاق.

لقد أكمل هؤلاء (المؤامرة على المرأة في ديار المسلمين)[2] والتي قادتها الحركة النسائية بعد قاسم أمين ربيب المدرسة الإصلاحية وزعمائها: محمد عبده وسعد زغلول حيث قاما بحمايته[3].

● لقد اعتبروا مسألة تعدد الزوجات ـ التي شرعها الله ـ من سمات عصر الإقطاع. يقول **محمد عمارة**: «إن تعدد الزوجات، وتتابع الزواج،

---

(١) أضواء البيان: ٤/ ٨٤، ٨٥/ محمد الأمين الشنقيطي/ عالم الكتب/ بيروت.

(٢)(٣) انظر كتابنا: المرأة بين الجاهلية والإسلام (الباب الثالث) (ص ٢٥٧ ـ ٣٠٠).

واتخاذ السراري والجواري، من سمات عصر الإقطاع والدولة الإقطاعية[1].

● ويدعو **فتحي عثمان** إلى تقييد الطلاق وتقييد تعدد الزوجات، وإلى الاختلاط وترك الحجاب، والضابط لذلك كله هو الظروف وواقع العصر والبيئة.

«ويعتبر أن قضية المرأة وأشباهها وثيقة الارتباط بواقع البيئة الاجتماعية، والمجتمع الواحد يختلف من زمن لآخر... ولذلك يجب ألا يحمّل (الدين) عبء هذه الفوارق الطبيعية الحتمية، بل أولى للجميع أن ينسبوا هذه الأحكام الاجتهادية لواقع العصر والبيئة»[2].

وهذه آراء جريئة في تخطي النصوص القطعية في قضايا التعدد والطلاق، وللإسلام هديه فيما شرع[3].

● موقفهم من حجاب المرأة المسلمة:

يرى العصرانيون أنّ الحجاب الشرعي قيد يجب التخلص منه، ثم راحوا يبررون الاختلاط بين الرجال والنساء بعد أن زينوا للمرأة الخروج من بيتها وصونها...

● فالدكتور محمد عمارة يرفض أن تعود المرأة مكبلة بحجابها ويؤكد «أن جذور هذه القضية ترتبط بالتمدن والتحضر والاستنارة أكثر مما هي مرتبطة بالدين»[4].

وقال جميل صدقي الزهاوي معبراً عن آراء هذه الفئة بقصيدته الشهيرة في الحجاب[5]:

---

(١) فجر اليقظة العربية: د. محمد عمارة/ ص ١١٨.

(٢) الفكر الإسلامي والتطور: ص ٢٢٢.

(٣) انظر: الزواج والطلاق وما يترتب عليهما في ظلال الإسلام، من كتابنا المرأة بين الجاهلية والإسلام (ص ١٣٧ ـ ١٥٧).

(٤) الإسلام وقضايا العصر: محمد عمارة /ص ٩٠/.

(٥) الشعر العراقي الحديث: يوسف عز الدين /ص ١٩.

مزقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث فقد كان حارساً كذابا
وانزعيه بقوة وطئيه واجعلي في فم الحنيق ترابا

وقد كثر لغط العصرانيين حول هذه القضية.

● فهذا حسين أحمد أمين يقرر أنّ الحجاب «وهم صنعه الفرس والأتراك، وليس في القرآن نص يحرم سفور المرأة أو يعاقب عليه» «وأن الرجال يتمسكون بالحجاب ليستبدوا بالمرأة، فينفسوا عن قهرهم سياسياً واجتماعياً»[1].

ويؤول حسين أحمد أمين آية الحجاب تأويلاً بعيداً، عندما يقول: «بالنسبة للحجاب الذي فُرض في المدينة حيث كان النساء يلقين من المتسكعين من شباب المدينة كل مضايقة وعبث كلما خرجن وحدهن إلى الخلاء، فنزلت آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وذلك حتى يميز الشبان بين المحصنات وغير المحصنات[2].

● والدكتور الترابي يقصر الحجاب على نساء النبيّ ﷺ فقط، ويقول: «أما الحجاب المشهور فهو من الأوضاع التي اختصت بها نساء النبيّ ﷺ، وقد قررت آية الحجاب التي حكمت ألا تظهر زوجة النبيّ للرجال ولو بوجهها وكفيها، مما يجوز بالطبع لسائر النساء المسلمات»[3]. ولا دليل مع الكاتب يستحق الذكر.

● روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه

---

(١) موقف القرآن من حجاب المرأة: حسين أحمد أمين /الأهالي القاهرية /٢٨/ ١١/ ١٩٨٤ م/ عن كتاب غزو من الداخل /ص ٥٥.

(٢) دليل المسلم الحزين: ص ١٣١.

(٣) انظر: كتاب المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع: د. حسن الترابي (ص ٢٧) قدمه الاتجاه الإسلامي في اتحادات المدارس والجامعات السودانية.

الآيـــــــة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ قال: «أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة».

وروى ابن كثير عن محمد بن سيرين قال: «سألت عبيدة السليماني عن قول الله عزّ وجلّ ﴿يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ فغطى وجهه ورأسه، وأبرز عينه اليسرى».

هذا ورغم ورود الآيات والأحاديث في تحريم السفور، ورغم الواقع النظيف للمرأة في مجتمعاتنا الإسلامية، تطلع علينا مدرسّة الدين الإسلامي بتعاليم الجاهلية لتقول: «والذين ينادون بأن تتحجب المرأة لم يفهموا المرأة المسلمة، ولم يدرسوا أحاديث الرسول ﷺ ولم يقرؤوا القرآن قراءة صحيحة!! ولم يطلعوا على التاريخ بل أخذوا أشياء دخيلة على الإسلام الحقيقي!! وعلى الحضارة المصرية الحقيقية ـ تعني الفرعونية ـ فأنا لي خمسة وعشرون عاماً أدرّس الدين الإسلامي وأقارن، فما وجدت آية واحدة تنص على تحجب المرأة، وزوجات النبيّ لم يكنّ محجبات»[1].

هكذا وبكل بساطة تفتي هذه الأستاذة بقضايا تخالف فيها حقائق التاريخ، وبدهيات الإسلام.. متناسية أنّ الإسلام قد حرص على إقامة مجتمع العفاف والطهر، وقضى على انحرافات الجاهلية، فمنع الاختلاط ودواعيه، وحرم الخلوة بالمرأة الأجنبية، ونهى عن مصافحة المرأة الأجنبية وحثّ على غض البصر، وأمر بلباس شرعي ساتر للمرأة المسلمة[2].

إلاّ أن هؤلاء العصرانيين يتجاوزون النصوص الشرعية ويبيحون الاختلاط لأسباب واهية، والتحليل والتحريم ليس من اختصاص البشر، إنما هو من اختصاص المهيمن الجبار.

---

(١) مجلة: الأهالي القاهرية ـ تحقيق ـ نوال السعدواي العدد / ١٠٤ في ٥/١٠/١٩٨٣ م.

(٢) انظر هدي الإسلام في الحجاب /ص ١٧٦ ـ ١٩٥/ من كتابنا المرأة بين الجاهلية والإسلام.

فالاختلاط: مباح في عرفهم إذ «ليست الحياة العامة مسرحاً للرجال وحدهم، ولا عزل بين الرجال والنساء في مجال جامع»[1]. ويقول الدكتور الترابي: «فلا ينبغي أن يزدحم الرجال والنساء بحيث تتقارب الأنفاس والأجساد، إلا لضرورة عملية، كما في الحج وكما في المركبات العامة وقاعة المحاضرات، ومؤتمرات الأحزاب والليالي السياسية...؟!». هكذا تكون الضرورات المباحة للترابي، «وتجوز المصافحة العفوية التي يجري بها العرف في جو طاهر وذلك عند السلام/كما يزعم»[2].

إن الترابي يخالف في أقواله هذه أحاديث صريحة وصحيحة. فقد جاء في الحديث الشريف عن أميمة بنت رقيقة قالت: «جئت النبيّ ﷺ في نسوة نبايعه، فقال لنا «فيما استطعتنّ وأطقتن، إني لا أصافح النساء»[3].

وقد ورد الوعيد الشديد في النهي عن مصافحة النساء عن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لأن يُطعن في رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»[4].

● ويرى الترابي كذلك أنّ للمرأة أن تستقبل ضيوف الأسرة وتحدثهم وتخدمهم وتأكل معهم»[5].

أين هذا من تحريم الإسلام الخلوة بالمرأة الأجنبية. عن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لا يخلون أحدكم بامرأة، فإن الشيطان ثالثهما»[6].

---

(١) المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع: د. حسن الترابي ص ٢١.
(٢) المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع: د. حسن الترابي /ص ٣٥.
(٣) صحيح سنن ابن ماجه /الألباني، ٢/ ١٤٥.
(٤) الترغيب والترهيب للمنذري /رقم ٣٧٩٩/ وعزاه للطبراني والبيهقي. وقال: رجال الطبراني ثقات، رجال الصحيحين.
(٥) المرأة بين تعاليم الدين وتقاليد المجتمع: ص ٢٥.
(٦) رواه الإمام أحمد: ١/ ١٨، والترمذي: ٣/ ٢٠٧، والحاكم: ١/ ١١٣، وقال الترمذي: حسن صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

● ويدعو الدكتور فتحي عثمان إلى ما يسميه الاختلاط المأمون. لأن المجتمع الذي يلتقي فيه الرجال والنساء في ظروف طبيعية هادئة محكمة، لن يغدو مثل هذا اللقاء قارعة تثير الأعصاب، إذ سيألف الرجل رؤية المرأة ومحادثة المرأة، وستألف المرأة بدورها الرجل... فيضيق مجال الانحراف والشذوذ، وتتجمع لدى الجنسين خبرات وحصانات وتجارب»[1]، وواقع الغرب المزري ـ في الاختلاط ـ ما ينقض هذا الرأي.

حقوق المرأة السياسية المزعومة:

وتابع العصرانيون سلفهم قاسم أمين في دعوته إلى ما يسمى بتحرير المرأة.

«فلا يرى الدكتور محمد عمارة مانعاً من عمل المرأة في السياسة والقانون والفنون والتجارة والاقتصاد، والصناعة والزراعة...

ويرى جواز مشاركة المرأة في الانتخابات والمجالس النيابية، محتجاً بأن الصحابيات بايعن الرسول واشتركن في بيعة العقبة»[2].

أما ولاية المرأة للقضاء وحتى الولاية العامة: فهي جائزة عند العصرانيين بإطلاق. يقول محمد عمارة: «إن ما لدينا في تراثنا حول قضية ولاية المرأة لمنصب القضاء، هو فكر إسلامي وآراء فقهية... وليس ديناً وضعه الله، وأوحى به إلى رسوله عليه الصلاة والسلام...

وليس هناك إجماع فقهي فيها حتى يكون هنالك إلزام للخلف بإجماع السلف فهي من قضايا الاجتهاد المعاصر، أما قوله ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» فهو نبوءة سياسية من الرسول بفشل الفرس المجوس، أولئك الذين ملكوا عليهم امرأة، وليس حكماً بتحريم ولاية المرأة للقضاء، فلا ولايتها العامة ولا الخاصة كانت بالقضية المطروحة، حتى على مجتمع النبوّة، كي تقال فيها الأحاديث»[3].

---

(١) الفكر الإسلامي والتطور: (ص ٢٠٤).

(٢) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة، الخراشي /ص ٥١٤.

(٣) الإسلام والمستقبل: محمد عمارة /ص ٢٣٧، ٢٤١/.

● وعندما سئل الدكتور الترابي في الندوة التلفزيونية، هل يجوز للمرأة أن تتبوأ القضاء والنيابة والتشريع؟! أجاب: «صحيح أن هناك حديثاً مشهوراً يقول: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة[1].

«ولكنه حديث كان في مناسبة معينة، لولاية معينة في بلد معين، والفقهاء لهم مذاهب في ذلك، ولك أن تختار المذهب الذي تراه... والمذهب الذي نختاره نحن هو أن تتولى كل القضاء»[2]. إلا أن العلماء على غير ذلك.

● قال ابن قدامة الحنبلي: «... ولا تصلح المرأة للإمامة العظمى، ولا تولية البلدان، ولذا لم يول النبيّ ﷺ ولا أحد من خلفائه ولا مَنْ بعدهم امرأة قضاء ولا ولاية بلد فيما بلغنا، ولو جاز ذلك لم يخل منه جميع الزمان غالباً»[3].

إنّ الفتوى التي اختارها الدكتور الترابي تخالف المذاهب الأربعة واجتهادات الفقهاء.

«وقد خرج الترابي على النصوص المحكمة في الكتاب والسنّة، وليس هناك مذهب يولي المرأة القضاء»[4].

إلا أن بعض أهل الشذوذ أجازوا للمرأة تولي القضاء ولو كان هذا جائزاً، لفعله النبيّ وخلفاؤه الراشدون»[5].

---

(١) أخرجه البخاري: ٦/ ١٠، دار إحياء التراث العربي، وأخرجه النسائي والترمذي.
(٢) الندوة التلفزيونية أجراها الأستاذ محمد بشير مع الترابي في شهر ٦/١٩٨٨ م ـ أشار إليها كتاب مخطوط بعنوان الدكتور حسن الترابي وفساد نظرية تطوير الدين ـ تأليف: د. عبد الفتاح محجوب محمد إبراهيم ـ جامعة أم القرى.
(٣) المغني لابن قدامة: ٧/ ٣٦.
(٤) انظر مقالاً: بقلم الأستاذ عبد الله فضل الله المهندس نشر في ٣٠/٦/١٩٨٨ م بجريدة الأيام بهذا التاريخ، وانظر المخطوط: عبد الفتاح محجوب /ص ٢٩/.
(٥) انظر: المرأة بين الجاهلية والإسلام ففيه تفصيل لحكم الإسلام في ولاية المرأة /ص ٢٥٤ ـ ٢٥٦/.

● وقد ورد سؤال من مدير تحرير مجلة المجتمع إلى الشيخ عبد العزيز بن باز هذا نصه: «ما موقف الشرع الحنيف من ترشيح المرأة نفسها لرئاسة الدولة، أو رئاسة الحكومة والوزارة؟!» فأجاب: «تولية المرأة واختيارها للرئاسة العامة للمسلمين لا يجوز، وقد دل الكتاب والسنّة والإجماع على ذلك. قال تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ والحكم في الآية عام وشامل لولاية الرجل وقوامته في أسرته، وكذا في الرئاسة العامة من باب أولى، ومن السنّة قوله ﷺ، لما ولى الفرس ابنة كسرى «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» ولا شك أنّ هذا الحديث يدل على تحريم ولاية المرأة الإمرة العامة وكذا توليتها إمرة إقليم أو بلد... وقد أجمعت الأمّة في عصر الخلفاء الراشدين، وأئمة القرون الثلاثة المشهود لها بالخير إجماعاً عملياً على عدم إسناد الإمارة والقضاء إلى امرأة».

* * *

إلا أن ما نشاهده اليوم من تولي بعض النساء الوزارة أو رئاستها في ديار المسلمين، والمشاركة في البرلمانات ومزاحمة الرجال في المناكب... إنما هو ارتكاس إلى الجاهلية الأولى، إذ كان أهل الجاهلية يولون عليهم بعض النساء في الحكم، أو قيادة الجيوش.

ومن الغريب أن أكبر ثلاث دول إسلامية ترأس حكوماتها نساء في هذه الفترة: تركيا ـ دولة الخلافة ـ وباكستان وبنغلادش.

٤ ـ إلغاء أحكام أهل الذمّة:

لم يترك العصرانيون حكماً ثابتاً من أحكام الإسلام، إلا وقد حاولوا تعطيله بشكل أو بآخر... باسم الإسلام ومزاعم المصلحة العامة. من ذلك قضية أهل الذمة، وموقعهم في المجتمعات الإسلامية. وقد أكثر العصرانيون من الحديث حول أهل الذمّة، وأظهروا أنّ الأحكام المضروبة عليهم،

والمعروفة باسم «أحكام أهل الذمّة» قد كانت لظروف خلت، وأن تطور العصر يرفضها. وممن تصدّى لهذه المسألة وخصص لها كتاباً: فهمي هويدي بعنوان «مواطنون لا ذميون»[1] نقتطف منه بعض الفقرات.

يقول في فصل «ذميون.. لا يزالون»؟:

«إن تعبير أهل الذمة وإن استخدم في أحاديث النبيّ وعهوده إلا أنه كان جزءاً من لغة الخطاب في تعامل القبائل العربية قبل الإسلام، إذ كانت عقود الذمّة والأمانة هي صيغة التعايش التي تعارف عليها عرب الجاهلية...».

«أي أننا نقف في حقيقة الأمر، في مواجهة صيغة لا تستند إلى نص قرآني، واستخدامها في السنّة النبوية كان من قبيل الوصف لا التعريف، الأمر الذي لا يصنفه في أي من درجات الحكم الشرعي الملزم، بالإضافة إلى ذلك فإن الوصف... وإن لم يكن الوحيد الذي استخدم في خطاب الآخرين، إلا أنه كان تعبيراً عن حالة «تعاهدية، تعارف عليها عرب الجاهلية في تنظيم علاقات القبائل والأفراد، استمر إلى ما بعد الإسلام ضمن ما أخذ به من تقاليد وأعراف»[2].

● وتحت خضوع شديد لضغط الواقع يقول:

«وبعد هذا وذاك أليس غريباً أن يجيز الفقهاء، أن يخوض المسلمون الحرب دفاعاً عن «أهل ذمتهم»[3]، ثم يحجب البعض عن هؤلاء حق التصويت في انتخابات مجلس الشورى مثلاً؟!». ثم يقول: «أما تعبير أهل الذمة، فلا نرى وجهاً للالتزام به، إزاء متغيرات حدثت،... وإذا كان التعبير قد استخدم في الأحاديث النبوية، فإن استخدامه كان من قبيل

---

(١) مواطنون لاذميون: فهمي هويدي /دار الشروق/ ١٤٠٥ هـ.

(٢) فصل «ذميون لا يزالوان؟» (ص ١١٠) وما بعدها.

(٣) السابق: /ص ١٢٤، ١٢٥/.

الوصف، وليس التعريف، فضلاً عن أنه كان بمثابة استخدام للغة ومفردات وصياغات سادت في جزيرة العرب، قبل الإسلام، ويبقى مع ذلك أن هذا الوصف «تاريخياً»، لا يشترط الإصرار عليه دائماً»[1].

● فالكاتب يحاول إلغاء الأحكام بلا دليل، إلا زعمه أن ذلك أمر تاريخي فقط، وكأن الاجتهاد في الإسلام تحول إلى لعب أطفال، أو خيال كتاب، وأوهام مبتدعة.

● وفي فصل«الجزية... التي كانت» يقول:

«ومن غرائب ما قيل في هذا الصدد تعريف ابن القيم للجزية بأنها هي الخراج المضروب على رؤوس الكفار إذلالاً وصغاراً، وأن هذا يتنافى مع روح الإسلام، ودعوته للمسامحة بين الناس جميعاً»[2] ـ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ـ.

● وللأستاذ فهمي هويدي اجتهاد مبتكر في فهمه للأحاديث النبوية والنصوص الأخرى المتعلقة بمعاملة المسلمين لغير المسلمين. يقول الكاتب تحت عنوان «شبهات وأباطيل»:

يهمنا ذلك في محاولة لفهم وقراءة هذه النصوص وهي على وجه التحديد.

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه. قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبدأوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقها» ـ متفق عليه ـ.

٢ ـ ما أخرجه الإمام مالك في الموطأ: «أن النبيّ ﷺ قال: «لا يجتمع في جزيرة العرب دينان».

---

(١) السابق: /ص ١٢٤، ١٢٥/.

(٢) مواطنون لاذميون /ص ١٢٨، ١٣١/. ولابن القيم كتاب قيّم بعنوان «أحكام أهل الذمة»؛ بإمكان القارىء الكريم أن يرجع إليه ليرى عدل الإسلام مع هؤلاء الذميين الذين يتباكى عليهم عصرانيو آخر زمن!!.

٣ ـ عهد عمر رضي الله عنه في معاملة غير المسلمين...[١].

● يقول فهمي هويدي: «لا يؤخذ من الأحاديث عادة إلا ما كان مقصوداً به التشريع العام والاقتداء».

«والأحاديث السابقة، كانت إجراءً استثنائياً في ظروف استثنائية، فالحديث الأول: يخالف نصوصاً أخرى تدعو إلى رد التحية بأحسن منها، ولكن اليهود كانوا يتظاهرون بالتحية للرسول وأصحابه بعبارة «السام عليكم» أي الموت. أما عهد عمر رضي الله عنه، فالكاتب يشكك في صحته تاريخياً من حيث السند!![٢].

● لقد حكمت الشريعة الإسلامية بضعة عشر قرناً من عمرها، لم يعرف في التاريخ عدلاً وإنصافاً ورحمة بأقليات دينية كما عرفها في تلك القرون تحت مظلة الشريعة، بل كانت الطوائف تفر من بطش أبناء دينها لتنعم بالأمن والاستقرار في ظل عدل الإسلام وإنصاف المسلمين.

---

(١) مواطنون لاذميون: ص ١٧٧ بإيجاز.

(٢) السابق: /ص ١٨١/.

المبحث الثالث

فصل الدين عن الدولة

وفيه الموضوعات التالية:

١ ـ محاولات جادة لتنحية الشريعة.

٢ ـ إلغاء الخلافة في منظور العصرانيين.

٣ ـ دعوتهم إلى علمانية جديدة باسم الإسلام.

المبحث الثالث

فصل الدين عن الدولة

● كان تطبيق الشريعة الإسلامية شوكة في حلوق أعداء هذا الدين، وكانت الخلافة تعتبر رمز قوّة المسلمين ووحدتهم.

ولذلك دأب المستعمر وأعوانه على إقناع بعض المسلمين من أجل اللحاق بالغرب بفصل الدين عن شؤون الدولة والحياة، بعد أن تآمروا على نظام الخلافة في مطلع هذا القرن.

وقد بذل المستشرقون جهداً ضخماً لتطوير الشريعة، وتجديد الفقه وأصوله، وضللوا أتباع التغريب بأن الأحكام الشرعية لا تدخل في مفهوم الدين، يريدون تطبيق ما حل بالنصرانية على بلاد المسلمين. وكانت قمة المؤامرة كتاب: «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرازق.

وها هم العصرانيون يقولون الآن أكثر مما قال علي عبد الرازق مدّعين أنهم أصحاب الفكر الديني المستنير، وأهل العقول الراجحة المواكبة للتطور والرقي... وبعد قليل سنورد نماذج من أقوالهم المنشورة في كتبهم أو في المجلات العامة.

محاولات تنحية الشريعة:

ما كان أحد يظن أنّ المسلمين قد يتنازلون عن تحكيم شريعتهم بعد أن سادت أحكامها ثلاثة عشر قرناً، وما كنا نظن أن ينبري نفر من أبناء جلدتنا ممن يتكلمون لغتنا لهدم شرع الله واستبداله بقوانين أرضية وافدة، باسم التجديد والتطوير. «على أنّ هنالك اتفاقاً عاماً بين أصحاب الفكر الديني المستنير!! على ضرورة تجديد الإسلام ذاته، بمعنى تعديل أحكامه

وتشريعاته أو نسفها واقتلاعها من الجذور»[1].

● فالدكتور محمد أحمد خلف الله: «يرى ضرورة انعتاق الأحكام من إسار الشريعة إلى بحبوحة القوانين الوضعية، التي تحقق لها الحرية والتقدم المذهلين، وأن خروج المعاملات من نطاق الشرع إلى نطاق القانون، قد حقق لها ألواناً من الحرية والانطلاق، لم يكن لهم بها عهد من قبل»[2].

«ويرى أن العدل الإسلامي أمنية من الأماني، وليس واقعاً يتحقق «وذلك أن هذه المعايير ـ معايير العدل الإسلامي ـ من القدم بحيث تعجز عن أن تحق حقاً أو تبطل باطلاً! وأن تقيم عدلاً في العصر الذي نعيش فيه...».

«ولذلك فهو يعجب من هؤلاء الجامدين الذين يتمسكون بتلك المعايير البالية، لمجرد أنها وردت في القرآن والسنّة»[3].

إنّ دعاة التغريب قد انتهوا من المجاملات، وصارت طروحاتهم صريحة واضحة لأن قرناً من التخريب والتشكيك قد آتى ثماره هذه الأيام.

● فالتبجح في مخالفة الأحاديث الصحيحة أصبح لا يحرك، ساكناً عند هؤلاء المتغربين، وحجة تحقيق المصلحة هي الأساس لديهم حتى لو خالفت الأحاديث الصحيحة. **يقول محمد عمارة:**

«نحن مطالبون حتى نكون متبعين للرسول بالتزام سننه التشريعية ـ أي تفسير القرآن ـ لأنها دين، أما سنّته غير التشريعية، ومنها تصرفاته في السياسة والحرب والسلم والاجتماع والقضاء ومثلها ما شابهها من أمور الدنيا!! فإن اقتداءنا به يتحقق بالتزامنا المعيار الذي حكم تصرفه ﷺ، فهو

---

(١) ينظر: غزو من الداخل، جمال سلطان /ص ٣٤ ـ ٣٥/.

(٢) من مقال بعنوان: المعاملات بين الشرع والقانون /الطليعة القاهرية فبراير/ ١٩٧٦ م/.

(٣) الطليعة القاهرية /نوفمبر/ ١٩٧٥ م، بعنوان العدل الإسلامي وهل يمكن أن يتحقق؟!.

كقائد للدولة كان يحكم منها على النحو الذي يحقق (المصلحة)، للأمّة، فإذا حكمنا (كساسة) بما يحقق مصلحة الأمة، كنا مقتدين بالرسول، حتى ولو خالفت نظمنا وقوانينا ما روي عنه في السياسة من أحاديث لأن المصلحة، بطبيعتها متغيرة ومتطورة»[1].

بل يعبر عمارة بصراحة أشد عن عدم ملاءمة الشريعة لقضايا العصر، عندما يقول: «فإن أحداً لن يستطيع الزعم بأنّ الشريعة يمكن أن تثبت عند، ما يقرره نبي لعصره»[2].

ويدعو عمارة كذلك إلى مدنية السلطة، وجعل حق التشريع في يد جمهور الأمّة عندما يقول: «فأصحاب السلطة الدينية قد احتقروا جمهور الأمة، عندما سلبوها حقها في التشريع، وسلطاتها في الحكم» على حين قرر القائلون بمدنية السلطة: «أن الثقة كل الثقة بمجموع الأمة، بل جعلوها معصومة من الخطأ والضلال»[3].

● فأبواق التغريب من اليمين إلى اليسار، قد تنادوا من كل واد لهدم مقومات الإسلام من الداخل، متعاونين مع أساتذتهم من الشرق والغرب...

ـ فالدكتور أحمد كمال أبو المجد: يرفض رفضاً باتاً تلك «النظرة الشمولية للدين، والتي تستغرق أحوال الفرد والجماعة». ويرى «أن الدين ـ والإسلام بصفة خاصة ـ يمتد اختصاصه إلى جميع جوانب الحياة الفردية والجماعية للمؤمنين به، ولكنه امتداد عناية وتوجيه وليس ـ بالضرورة ـ اختصاص تدخل مباشر بالتنظيم، وتقديم الحلول النهائية الثابتة».

---

(١) الإسلام وقضايا العصر: محمد عمارة ص ٢٥.

(٢) المعتزلة وأصول الحكم: ص (٣٣٠) ـ محمد عمارة سلسلة الهلال العدد / ٤٠٠/ ١٩٨٤ م.

(٣) الإسلام والسلطة الدينية: (ص ٧).

«ولذلك فهو يتعجب ويتأفف من هؤلاء المسرفين الذين يرون ضرورة إسقاط القوانين الوضعية، ويدعو من ثم إلى زلزلة قواعد الشريعة، حيث لا يقصر الاجتهاد على الفروع فحسب، بل والأصول أيضاً»[1].

ـ ويعتبر الدكتور زكي نجيب محمود: أن الشريعة «شريعة الأسلاف» لم تعد تصلح لواقعنا المعاصر، ثم علينا أن نبني حضارتنا على النموذج الغربي المادي الحديث، دونما التفات إلى أي أسس أخلاقية أو قيمة ثقافية، أو عقدية...

ويقول: «وتسألني: ماذا نحن صانعون بآدابنا وفنوننا ومعارفنا التقليدية.. فأجيبك بأنها مادة للتسلية في ساعات الفراغ؟! لم أعد أقول: إنها خليقة بأن يقذف بها في النار»[2].

وهكذا فقد توصل هؤلاء الكتاب إلى أن يهدموا تراث أمتهم الديني والثقافي، بما في ذلك إلغاء شريعة الإسلام، وفي ذلك مخاطر على عقيدتهم ودينهم، وردّة شديدة في اتباع أحكام الجاهلية.

٢ ـ سقوط الخلافة في منظور العصرانيين:

لقد تكالب أعداء هذا الدين على إسقاط الخلافة، وكان من أهم شروط اتفاقية (سايكس بيكو) ١٩١٥ م، عندما خرجت تركيا مهزومة من الحرب، أن اشترط الحلفاء إلغاء نظام الخلافة وطرد السلطان العثماني خارج الحدود ومصادرة أمواله، ثم إعلان علمانية الدولة[3].

---

(١) حوار لا مواجهة: أحمد كمال أبو المجد/ ص ١٠ ـ ١٣/ وانظر غزو من الداخل: جمال سلطان /ص ٤١ ـ ٤٢/.

(٢) غزو من الداخل: جمال سلطان /ص ٤٠/ وانظر كتاب التراث والتجديد: حسن حنفي /ص ٦٩ طبعة/ ١٩٨٠ القاهرة.

(٣) انظر تاريخ الدولة العثمانية: علي حسون /المكتب الإسلامي بيروت ودمشق.

وركز العصرانيون حملتهم للتشكيك بنظام الخلافة، متبعين في ذلك كبيرهم الشيخ علي عبد الرازق، الذي وصف الخلافة بأنها «خطط دنيوية صرفة، لا شأن للدين بها.. وليس لنا حاجة إليها في أمور ديننا ولا دنيانا، ولو شئت لقلنا أكبر من ذلك، فإنما كانت الخلافة، ولم تزل نكبة على الإسلام والمسلمين، وينبوع شر وفساد»[1].

وجاء العصرانيون الجدد ليكملوا المشوار ضمن حلقات من التآمر ضد الإسلام، وضد نظام الخلافة، وتحكيم الشريعة.

● يقول محمد أحمد خلف الله: «نظام الحكم في الإسلام نظام مصدره الاجتهاد وليس النص... وعلى الجماعات الدينية أن تترك هذه القضية لتكون محل اجتهاد جديد، والفكر السياسي في نظام الحكم هو فكر بشري خالص، وتستطيع المؤسسات العلمية من أمثال كليات العلوم السياسية أن تجتهد فيه»[2].

ويرى أنّ النظام الملائم والحكم الحضاري **هو الديمقراطية**، والديمقراطية التي نقصد هي الديمقراطية الغربية، التي وفدت إلينا كعنصر حضاري من عناصر الثقافة الإسلامية»[3].

● ويزعم الدكتور محمد عمارة: «أن اشتراط قرشية الخليفة كان تعبيراً عن موقف قومي عربي ضد عجمة الدولة، ممثلة في رأس سلطتها وقائدها الأعلى...

---

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د. محمد محمد حسين، ج ٢/ ٨٣.

(٢) الاجتهاد والحكم في الإسلام: محمد أحمد خلف الله/ مجلة العربي العدد /٣٠٧/ رمضان /١٤٠٤ هـ.

(٣) مجلة اليقظة العربية القاهرية: العدد الأول السنة الأولى/ نقلاً عن كتاب: غزو من الداخل /ص ٤٧/ لجمال سلطان.

وجدير بالذكر أنّ هذا الشرط لم يظهر في الفكر السياسي الإسلامي إلا عندما بدأ تغلب الأسر الأعجمية، والاتجاهات الشعوبية على الخلافة العربية العباسية، وظهرت أن السيطرة المملوكية التركية على الدولة منذ عصر المتوكل العباسي»[1].

وهذه مغالطات عجيبة إذ يناقض صاحبها حقائق التاريخ. ونصوص الحديث النبوي الشريف.

قال ﷺ: «الأئمة من قريش»[2].

وجاء في الحديث الشريف: «فعليكم بسنّتي وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»[3].

وبعد كل هذه الأحاديث يفتري الدكتور عمارة فيقول: إن اشتراط قرشية الخليفة كان تعبيراً عن موقف قومي عربي ضد الشعوبية.

* * *

٣ ـ حقيقة دعوتهم في الحكم: علمانية جديدة:

يصرح بعض العصرانيين بحقيقة دعوتهم في الحكم وفصل الشريعة عن قضايا المجتمع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويدعون إلى علمانية مصبوغة بمفهومهم عن الإسلام.

● فالدكتور حسن حنفي يرى أنّ العلمانية هي أساس الوحي.

ويقول: «نشأت العلمانية استرداداً للإنسان، ولحريته في السلوك

---

(١) الإسلام والعروبة والعلمانية: محمد عمارة /ص ١٨/ دار الوحدة بيروت/ ١٤٠٥ هـ.
(٢) حديث صحيح رواه الإمام مسلم «كتاب الإمارة».
(٣) رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

والتعبير، وحريته في الفهم والإدراك، ورفض لكل أشكال الوصاية عليه، ولأي سلطة فوقية، إلا من سلطة العقل والضمير!!

العلمانية إذن هي أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره، والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ»[1].

● والإسلام عند د. محمد عمارة هو العلمانية ذاتها، لا شأن للدين فيها بالحكم والقضاء والإمامة والسياسة. يقول: «إن للدين مفاهيم عليا ومثلاً عليا، ثم للناس أن يحددوا ويشرعوا ويطوروا حياتهم وفق المصلحة بعد ذلك»[2].

ومن ثم يرى كذلك أن الإسلام قد قرر الفصل بين (أمة الدين) و (أمة الدولة)، وأن سنّته ﷺ تنقسم إلى سنّة دينية ملزمة وسنّة دنيوية غير ملزمة.

فالإسلام الدين عند الدكتور عمارة: تمثل ويتمثل في النص القرآني، وفي السنّة النبوية التشريعية التي جاءت تفصيلاً لمجمل القرآن وشرحاً لموجزه، وهذان المصدران هما اللذان تجسدا ثمرة (للاجتهاد) في علوم الوحي، أي العلوم الشرعية، هذا هو الإسلام الدين. وهناك الإسلام «الحضارة» كما تمثل ويتمثل في ثمرات «العقل المسلم وتجربة المسلمين في مختلف نواحي الحياة الدنيا...».

ثم يقول: «فلم تكن الدولة هدفاً من أهداف الوحي، ولا مهمة من مهام النبوّة والرسالة، ولا ركناً من أركان الدين، وإنما اقتضتها ضرورة حماية الدعوة الجديدة، والدفاع عن المؤمنين ضد اضطهاد المشركين.

فكان تأسيسها وتدعيمها إنجازاً سياسياً وحضارياً وقومياً حفظ الدين، وساعد على انتشاره، على الرغم من أنه ليس جزءاً أصيلاً من مهام النبوّة

---

(١) التراث والتجديد: ص ٦٩ د. حسن حنفي.

(٢) المعتزلة وأصول الحكم: د. محمد عمارة ص ٢٩٥.

والرسالة، ولا هو أصل من أصول الدين[1]. هذه نفس آراء علي عبد الرازق وسادته من المستشرقين. ومن ثم يقول: «إن موقف (الإسلام الحضارة)، كان هو التطبيق في مجال السياسة والدولة، (لموقف الإسلام الدين) الذي ينكر وجود «سلطة دينية» لبشر خارج نطاق الموعظة والإرشاد والذي لم يحدد نطاقاً معيناً للحكم»[2].

هذه تقسيمات لم يقل بها أحد قبل أن يطلع علينا أصحاب الاستنارة والتجديد، وإلا فما الفرق بين مقولة النصارى: «دع ما لقيصر لقيصر وما للّه للّه؟!» وبين مقولتهم وما معنى قوله تعالىٰ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾؟! قال ابن كثير «أخبرهم أن الحكم والتصرف والمشيئة والملك كله لله»[3].

وهذا يشمل شؤون الحياة كلها سياسية أو غير سياسية، حتى الأعداء لم ينكروا أنّ الإسلام دين ودولة.

قال المستشرق «فيتز جرالد»: «ليس الإسلام ديناً فحسب، ولكنه نظام سياسي أيضاً... وإن صرح التفكير الإسلامي كله قد بني على أساس أنّ الجانبين متلازمان لا يمكن أن يفصل أحدهما عن الآخر»[4].

فالعصرانيون بفصلهم الدين عن شؤون الدولة والحياة، يدعون إلى علمانية قد يسمونها إسلامية، ولكنها في الحقيقة أشدّ بعداً عن الدين من العلمانية اللادينية كما اتضح من تصريحاتهم السابقة، واللاحقة... إذ هنالك كتاب معاصرون حملوا لواء العلمانية باسم الإسلام أيضاً. من هؤلاء:

---

(١) الإسلام والعروبة والعلمانية: ص ٥.

(٢) السابق: ص ٦٦.

(٣) تفسير ابن كثير: ٤/٤٩٦.

(٤) النظريات السياسية في الإسلام: محمد ضياء الريس.

● محمد سعيد العشماوي[1]: صاحب كتاب «**أصول الشريعة**» الذي خصصه لإثبات أن الشريعة الإسلامية قد أصابها التحريف والتغيير، ولذلك فهي لا تصلح للحكم في هذا العصر.

ويتلخص مضمون «الكتاب فيما يأتي[2]:

١ ـ في أنّ كلمة (الشريعة) غير واضحة في أذهان المسلمين، فهم يطالبون بتطبيقها دون أن يفهموها، وقد وقع التغيير في مفهوم الشريعة بين أهل الإسلام، مثلما وقع في مفهوم التوراة لدى اليهود؟!!

٢ ـ الارتداد عن الإسلام يأتي ضمن حرية الاعتقاد، فلا يصح إقامة الحد على المرتد، كما أنّ رجم الزاني المحصن ليس من أحكام الدين الثابتة الباقية كحد شرعي.

٣ ـ الدين كامل منذ «أوزوريس» ومن قبل أن يبعث محمد ﷺ، والمراد بالآية القرآنية بإكمال الدين[3] إكمال شعائر الحج، لا الدين نفسه، والشريعة تكتمل بتطورها، ومسايرتها للتطور الإنساني.

٤ ـ الخمر مأمور اجتنابها فقط، دون التنصيص بتحريمها في القرآن.

٥ ـ إن قطع اليد وبتر الأعضاء في العقوبة لا يلائم روح الشريعة الإسلامية.

ولا شك أن إطلاق هذه الأحكام كفر صريح، كما سيأتي بيانه[4].

● وممن سار على النهج نفسه: فرج فودة في كتابه «قبل السقوط» ومما جاء في هذا السقوط:

---

(١) العشماوي: هو رئيس محكمة الجنايات ومحكمة أمن الدولة العليا بمصر، والأستاذ المحاضر في كلية أصول الدين والشريعة.

(٢) ينظر: مجلة البلاغ، في /٨ صفر/ ١٤٠٤ هـ / ص ٣٧ ـ ٣٨/.

(٣) أي ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾.

(٤) ينظر: الباب الرابع (المدرسة العصرانية في الميزان) ففيها بيان الأحكام الشرعية لهذه القضايا ص ٣٤٧.

ـ فصل الدين عن الدولة باعتبار أنّ هناك فرقاً بين الإسلام الدين والإسلام الدولة ـ كما يرى الكاتب ـ.

ـ تعطيل الحدود الشرعية، حيث أن تطبيق الشريعة يقود إلى دولة دينية تحكم بالحق الإلهي، فتطبيق حد الزنا مثلاً يترتب عليه منع ملاهي شارع الهرم؟!!.

ـ خصص الإسلام بالقضايا الروحية، ويرفض الكاتب أن يكون الدين موجهاً للسياسة باسم الإسلام[1].

● يريد هؤلاء الكتاب حكماً علمانياً وفي أحسن أحواله ديمقراطياً برلمانياً على طريقة الغرب في أن يكون للأمة حق التشريع. . يريدون أن يتلهوا بلعبة الديمقراطية التي وضعها تشرشل حين ثار المصريون ثورتهم الوطنية عام /١٩١٩/، وكان وزيراً في حكومة المحافظين آنذاك، عندما سأل: ماذا يريد المصريون؟! قيل له: يريدون أن يكون لهم برلمان ودستور. فقال ساخراً: «أعطوهم لعبة يتلهون بها»!![2].

وها هو واقع الديمقراطية الغربية يشهد بإفلاس شعاراتها عند التطبيق في منبعها، فما بالك بتطبيقها في ديار المسلمين؟

إنّ فصل الدين عن الدولة، كان هدفاً أساسياً من أهداف حملة التنصير والاستشراق، وها هو يُحقق على أيدي الأجيال التي ربيت في محاضن مدارسهم وساستهم، منذ أوائل هذا القرن. وكان إبعاد هيمنة الدين عن الحياة من أخطر ما انزلق إليه المسلمون، حتى وصلوا إلى مهاوي الذل والتمزق والهوان. . ولن يصلح آخر هذه الأمّة إلا بما صلح عليه أولها وهو

---

(١) انظر: مجلة منار الإسلام /عدد رمضان/ ١٤٠٦ هـ/ (ص ١٥٠ ـ ١٥٢).

(٢) عن كتاب: هلم نخرج من ظلمات التيه للأستاذ محمد قطب /نشر دار الوطن للنشر/ ١٤١٥ هـ/ ص ٤٧/.

الإسلام، ولعل دعاة الإسلام الصادقين يعيدون الأمّة إلى رشدها، ويرجعونها إلى التمسك في دينها في جميع مجالات الحياة[1].

(١) سوف يأتي بيان لحكم فصل الدين عن الدولة، وتحكيم القوانين الوضعية /الباب الرابع إن شاء الله/ ص ٤١٣/.

المبحث الرابع

تزوير التاريخ وتمجيد الشخصيات المنحرفة

ويشمل الموضوعات التالية:

١ ـ الفتوحات الإسلامية.

٢ ـ تزوير الحقائق من منظور قومي.

٣ ـ تمجيد الفرق والحركات المنحرفة.

ـ تمجيد الدولة العبيدية.

ـ الإشادة بثورة الزنج في العصر العباسي.

٤ ـ تمجيد الشخصيات المنحرفة.

المبحث الرابع

تزوير التاريخ وتمجيد الشخصيات المنحرفة

كان تحطيم التاريخ الإسلامي، والعبث به هدفاً من أهداف المدرسة العصرانية، ولم تقف عملية التزوير عند عصر دون عصر، ولا عهد دون عهد، بل شملت كافة عصور الإسلام بلا استثناء.

ولم يسلم من أذى العصرانيين أحد حتى عهد النبوة وعهد الصحابة الكرام.

● «فحروب الردّة لم تكن ـ برأي عمارة ـ حروباً دينية، ولا حرب علي مع خصومه كانت دينية، لأنها كانت حرباً في سبيل الأمر، أي الخلافة والرئاسة والإمامة، وهذه سلطة ذات طبيعة سياسية ومدنية، ومن ثم كانت الحرب التي نشبت لأجلها سياسية ومدنية هي الأخرى»[1].

● أما الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيقرر عمارة أنه العلماني الأول في الإسلام «فقد كان رائد التمييز بين السياسة والدين، مع معارضة جمهور الصحابة له، ولقد بنى الدولة الإسلامية على هذا التمييز»[2].

«وحتى يوم السقيفة واحتجاج الصدّيق رضي الله عنه بقول النبيّ ﷺ: «الأئمة من قريش»[3] يرى الدكتور عمارة أنّ هذا الكلام محض افتراء

---

(١) انظر: المعتزلة وأصول الحكم: محمد عمارة /ص ٣٤٨/.

(٢) المعتزلة وأصول الحكم: محمد عمارة /ص ٣٤٨.

(٣) حديث صحيح رواه الإمام مسلم /كتاب الإمارة/ وانظر فتح الباري: ١٣/ ١٠١، طبعة دار الفكر ـ بيروت /١٩٩٣ م.

وكذب، وأنه نسب إلى السنّة ليكون فكراً سياسياً قرشياً، كان شائعاً في ذلك العصر، ويعكس ثقل قريش في المجتمع العربي في ذلك الحين»[1].

● ويزعم حسين أحمد أمين بصفاقة، أن ثالث الخلفاء الراشدين، عثمان بن عفان رضي الله عنه، حذف من القرآن «٥٠٠» خمسمائة آية، تطعن في بني أمية، وتذم أبا سفيان[2].

ويرى أن معركة بدر ناتجة عن حسابات كانت للنبي ﷺ وصحابة المهاجرين، يريدون تصفيتها مع قريش التي طردتهم من ديارهم[3].

وهذا ما يراه الدكتور محمد عمارة في غزوة بدر الكبرى، إذ أنها «معركة كانت بين الرسول ﷺ وأصحابه، وبين الأرستقراطية الملكية وحلفائها»[4].

١ ـ **الفتوحات الإسلامية**: إنّ هذه الفتوحات قد شهد الأعداء قبل الأصدقاء بعدالة أصحابها ورحمتهم، ودوافعهم النبيلة في نشر الدعوة الإسلامية.

إلاّ أن العقوق أوقع بعض أبناء هذه الأمة بمغالطات ليس لها نصيب من الواقع.. فراحوا يزوِّرون حقائق التاريخ بشكل ليس له نظير.

● **فالدكتور عبد المنعم ماجد**: يعجب من توهم بعض المستشرقين الذين يرون أن العرب المسلمين فتحوا البلدان بدافع إسلامي، ويقول: لا نوافق بعض المستشرقين في قولهم: إن العرب كانوا مدفوعين نحو الفتوح بالحماس الديني، فمن غير المعقول أن يخرج البدوي ـ وهو الذي لا يهتم بالدين ـ لينشر الإسلام»[5].

---

(١) المعتزلة وأصول الحكم: محمد عمارة /ص ٢٤٢/ وانظر: غزو من الداخل /جمال سلطان/ ص ٩/.

(٢)(٣) إسلام آخر زمن: منذر الأسعد /١٩٨٧ م/ص ٥٨ /وص ٦٣.

(٤) فجر اليقظة القومية: محمد عمارة /ص ١٠٣/.

(٥) التاريخ السياسي للدولة العربية، جـ ١/١٦٣، مطبعة الأنجلو المصرية ـ ١٩٧١ م.

فلمصلحة مَنْ هذا الافتراء؟! لقد أصبح الدكتور مستشرقاً أكثر من أساتذته، يغير ويزور لمصلحة أعداء أمته.

● ويعتبر **حسين أحمد أمين**، أنّ الفتوحات الإسلامية هي نوع من الاستعمار، كالاستعمار الغربي لبلاد المسلمين فيقول:

«إنّ الدول الإسلامية، كانت في عصر من العصور على وشك التهام القارة الأوروبية، بعد التهامها أقطار عدّة في أفريقيا وآسيا...

«وقد يحتج بعض المسلمين بأن الاستعمار الإسلامي!! لدولة إسبانيا كان بناءً، وفي خدمة التمدين والعمران، ولم يتخذ شكل النهب والسب، الذي اتخذه الاستعمار الأوروبي لدولة آسيوية وأفريقية.

غير أنّ الاستعمار الأوروبي لأمريكا الشمالية وأستراليا كان هو الآخر بنّاء، وفي خدمة التمدين والعمران، في حين لم يجلب الاستعمار العثماني (!!!) للبلقان غير الخراب»[1].

ولست أدري كيف يستوي ـ عند مسلم ـ نشر دين الله وإقامة العدل بأروع صورة بين البشر، مع غزو الأوروبيين الذي قام على النهب واستنزاف ثروات الشعوب... ولذلك فهو يهاجم الكاتب (جوستاف لوبون) الذي قال: «لم يعرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب!!»[2].

* * *

ويحاول المستنيرون الجدد طمس معالم صفحات مضيئة من تاريخنا الإسلامي، من منطلق دوافع قومية، ومن ذلك ما يتعلق بالخلافة العثمانية، أو انتصار المماليك، وحتى انتصار السلطان صلاح الدين على الصليبيين!![3].

---

(١) دليل المسلم الحزين /ص ١٧٢/ طبعة مدبولي.

(٢) إسلام آخر زمن: منذر الأسعد /ص ٦٦/ نشر مكتبة مدبولي /١٩٨٧ م، نقلاً عن كتاب حسين أحمد أمين /دليل المسلم الحزين.

(٣) انظر: غزو من الداخل، جمال سلطان: (ص ١٥ ـ ١٧).

● فالدكتور **محمد جابر الأنصاري** يحرص على **تجريد العثمانيين من كل فضيلة** حتى غدوا في نظره «جماعة من الهمج المتوحشين الذين دمروا الحضارة العربية الزاهية»[١].

● وهو ينزعج بشدة من تلك المحاولات العجيبة التي تحاول إعادة الاعتبار للتاريخ العثماني، ولتاريخ السلاطين الأتراك باعتبارهم رموز للجامعة الإسلامية، وللكيان الإسلامي الواحد»[٢].

● ويتابع **الدكتور عمارة** صاحبه، **فيصف الفتح العثماني**، بأنه: «**طوفان الدمار التركي**، وأرجال الجيش العثماني الذي لف العالم العربي بردائه الأسود أكثر من أربعة قرون»[٣].

فهل يعتبر هذا الهجوم على العثمانيين جزاء إيقافهم للزحف الأوروبي على ديار العرب عدّة قرون، وهل هذه هي مكافأة للجيش الذي فتح القسطنطينية؟! أم أنّ حقد عملاء التغريب كان بسبب هذه المواقف الجهادية؟!

حتى السلطان صلاح الدين الأيوبي لم يسلم من أذى هؤلاء القوم فيصفه الدكتور محمد عمارة بأنه «القائد الإقطاعي البارز؟!»[٤].

ويأسف الدكتور لانتصار المسلمين في الحروب الصليبية لأنها أعادت الحيوية للإقطاع العربي «فلقد كانت الحروب الصليبية مرحلة من الأحداث الكبرى التي أتاحت للإقطاع العربي فترة من استرداد الحيوية والنشاط»[٥].

وهو يتبرأ كذلك من النصر الذي حققه المماليك المسلمون على

---

(١) نظرة في الجذور: الدوحة القطرية، العدد /١٠١/ شهر رجب ١٤٠٤ هـ/.
(٢) الدوحة القطرية: العدد /٩٩/ جمادى الأولى/ ١٤٠٤ هـ.
(٣) فجر اليقظة العربية: ص ٣٦٢، محمد عمارة، عن غزو من الدخل /ص ١٧.
(٤)(٥) المرجع السابق: /ص ٢٢٨/.

المغول التتار... لأنهم غرباء عنا حضارياً وتاريخياً وتراثياً، ولأنهم لم يكونوا من العرب»[1].

ثم يقول: «ولكن القوى التي أحرزت هذا الانتصار العسكري كانت في الأساس مؤلفة من جند المماليك، ومن ثم فقد كانت قوة غريبة، قومياً وحضارياً عن الأمة والشعب والتراث والتاريخ»[2].

ما أدري من هو الغريب ثقافياً وحضارياً عن تاريخ الأمّة، أهؤلاء الذين يحققون أهداف رجال التنصير والاستشراق وأعداء الأمة؟! أم أولئك الذين طردوا الصليبيين والمغول عن بلادنا، تحت شعار الجهاد في سبيل الله؟! يقول لورنس العرب: «أهدافنا الرئيسية: تفتيت الوحدة الإسلامية، ودحر الأمبراطورية العثمانية وتدميرها»[3].

ويبدو أن **الخلفية القومية للكاتب، واليسارية كذلك قد أملت عليه مفاهيم الإقطاع والعنصرية ضد قادة المسلمين، الذين نعتز بهم** وعلى رأسهم صلاح الدين، والسلطان محمد الفاتح، ومن سار على دربه من بني قومه، وسيف الدين قطز والظاهر بيبرس. رحمهم الله، وجزاهم خير الجزاء على ما قدموا لأمة الإسلام، دون ارتكاس في أوحال القومية، أو نزعات اليسار والعنصرية.

٢ ـ تزوير الحقائق من منظور قومي:

يقول الدكتور عمارة: «إن العرب في العراق والشام كانوا قد رحبوا بالفتح العربي الإسلامي مما يدل على [الموقف الحضاري القومي» في هذا التعاطف.

---

(١) غزو من الداخل: /ص ٢٤ ـ ٢٥/ جمال سلطان.

(٢) تيارات اليقظة الإسلامية /ص ٨/ محمد عمارة.

(٣) الوقائع السرية في حياة لورنس العرب /ص ٥٢/ وانظر لورنس العرب لزهدي الفاتح /ص ٦٤/ دار النفائس بيروت.

ويقول: «وعرب العراق سواء أكانوا مجوساً أم نصارى أم وثنيين، رحبوا بالفتح العربي الإسلامي، وقاتل كثير منهم في صفوف الجيش الفاتح لأنهم حضارياً كانوا عرباً، مثلهم في ذلك مثل الفاتحين، رغم التمايز في الدين.

ـ «ومعركة القادسية زاخرة بالأمثلة التي تبرز دور (الموقف الحضاري القومي) في تعاطف أهل العراق والخليج مع الفتح الإسلامي...

وكذلك كان حال العرب الغسانيين النصارى في الشام، رحبوا بالفتح وأسهموا فيه... لأنهم حضارياً وقومياً كانوا عرباً كالفاتحين»[1].

والحقيقة أنّ هذه تعميمات عاطفية، أملاها منطق قومي متعصب ليس غير.

وإلاّ فأين المصادر التي اعتمد عليها الكاتب؟! إنّ المصادر التاريخية لعلمائنا الثقات تقول غير هذا.. من هؤلاء ابن كثير في تاريخه، والإمام الطبري فيما نقل في تاريخه.. يقول ابن كثير: «ففي غزوة مؤتة انضم إلى هرقل بالبلقاء مائة ألف من الروم، وانضم إليه من لخم وجذام وبلي وغيرهم مائة ألف»[2]. «وكانت الروم تضرب البعوث على العرب الضاحية، وكانت تستنفرهم فينفر إليها من بهراء وكلب وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان» «وحين اتجه خالد بن الوليد نحو الحيرة ليفتحها تحصن أهلها العرب[3] في أربعة حصون يرمون المسلمين، ثم طلبوا الصلح فصالحهم خالد على الجزية في ربيع الأول سنة ١٢ هـ، ثم أغار رضي الله عنه على عرب تغلب الموالية للفرس في الثني، ثم في الزميل»[4].

---

(١) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة /ص ١٦٤/ دار الوحدة ـ بيروت / ١٩٨٠ م/.

(٢) البداية والنهاية: ابن كثير ٤/ ٢٤٣.

(٣) حركة الفتح الإسلامي: د. شكري فيصل ص ٤٤، ٤٨ نقلاً عن: تاريخ الطبري ١/ ٤/ ٢٠٨١، ١/ ٥/ ٢٣٤٧، طبعة (ليدن ـ بريل).

(٤) انظر أحداث عام (١٢ هـ) تاريخ الطبري جـ ٣/ ص ٢٤٣ وما بعدها.

فأين رابطة العروبة المزعومة التي جعلت أتباع الفرس والروم يسخرون لقتال عرب الجزيرة المؤمنين ويقودهم رجال من ذؤابة قريش؟ ومِن أصحاب رسول الله ﷺ.

إنّ الفتوحات الإسلامية كانت متوجهة لقتال أهل الشرك جميعاً، من الفرس والعرب والروم، كانت تريد تحرير هؤلاء من خرافة الوثنية، وتنقلهم إلى رحابة التوحيد[1].

● ومن هذا الكلام المتهافت أيضاً ما يقوله: محمد عمارة وهو يفسر التاريخ الإسلامي، تفسيراً قومياً مزوّراً الحقائق، وخاصة في القرن الأول الهجري.

يقول: «إن الرعية السياسية لدولة الإسلام الأولى قد تكونت من العرب رغم اختلاف الدين، أي وفق معيار قومي عربي، فضمت المهاجرين والأنصار، وضمت معهما الأجزاء التي تهودت من قبائل المدينة وهي على يهوديتها»[2] يشير إلى الصحيفة التي نظمت أحوال أهل المدنية آنذاك.

● ومن هذه الغرائب المضللة ما يقوله الكاتب عن علاقة المسلمين باليهود في المدينة وما حولها.

يقول: «إن الحرب التي شنّها المسلمون ضد اليهود في المدينة وما حولها، لم تكن ضد هؤلاء اليهود العرب الذين انخرطوا مع المؤمنين العرب في بناء الدولة الجديدة... وإنما كانت هذه الحربُ في الأساس ضد اليهود ذوي الأصول العبرانية، الذين كانوا يحتلون في ذلك المجتمع مكان الغزاة، المتعالين بكتابهم على العرب الأميين، والزراعيين الذين غرسوا بذور الخلاف بين الأوس والخزرج قبل الهجرة...

أما الأجزاء العربية من قبائل المدينة التي تدينت باليهودية قبل الإسلام

---

(١) انظر تفصيلاً لذلك: كتابنا الحياة السياسية عند العرب ص ٢٤٩ ـ ٢٥٥.

(٢) الإسلام والعروبة والعلمانية ص ١٤ /محمد عمارة.

فقد دخلت ـ من منطلق قومي عربي ـ في إطار الرعية السياسية للدولة الجديدة، ثم دخلوا بعد ذلك في دين الإسلام»[1].

هذا منطق عجيب، وأباطيل تخالف ما صح من كتب السيرة والتاريخ. . .

وهل أبقى الرسول يهوداً لم يقاتلهم عرباً كانوا أو عبرانيين؟! لقد حارب الجميع ولم يستثن منهم أحداً لأنهم أهل غرور وخداع، وأوصى بإخراج من بقي منهم من جزيرة العرب، فأخرجهم عمر رضي الله عنه[2].

● ويعتبر محمد عمارة أنّ تحويل القبلة نحو الكعبة كان تحقيقاً لرغبة العرب وما يريدون. يقول: «وفي تلك الفترة، وبسبب أن الكعبة تاريخياً ومنذ القدم، هي قبلة العرب القومية، ومركز حجهم، وموطن مقدساتهم، ولارتباطها بديانتهم المتبقية القديمة. . . فلقد تطلعت رغبات المسلمين بالمدينة إلى قبلتهم القومية، بدلاً من بيت المقدس، وتصاعدت هذه العواطف والرغبات دعاء ودعوات استجاب لها المولى سبحانه، فحقق للعرب المسلمين ما يريدون!!»[3].

٣ ـ تمجيد الفرق والحركات المنحرفة:

لم يكتف أصحاب هذه المدرسة بتزوير صفحات تاريخنا الناصع، وتشويهه أمام الناشئة، وإنما بدأوا يمجدون الفرق الضالة في تاريخ المسلمين، ويمدحون كل الشخصيات ذات الدور التخريبي، سواء في مجال الفكر أو العقيدة.

● «فقد **مجدوا الخوارج** واعتبروا أنهم حزب العدالة والجمهورية والقيم الثورية التي جاء بها الإسلام» رغم أنهم كلاب أهل جهنم، وقد مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية، كما ذكرت ذلك الأحاديث الصحيحة.

---

(١) الإسلام والمستقبل: (ص ١٦٩ ـ ١٧٠) ط أولى القاهرة/ دار الشروق.
(٢) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: ص ٤٢٤ سليمان الخراشي.
(٣) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة /ص ١٦٢/.

والقرامطة «هم الجناح اليساري في الحركة الشيعية، وكانوا حركة ثورية ضد الإقطاع» كما يرى الدكتور عمارة[1].

والقرامطة هم الذين احتلوا مكة المكرمة وقتلوا الحُجاج آنذاك، ورموا جثثهم في بئر زمزم، ونهبوا حلي الكعبة واقتلعوا الحجر الأسود وبقي عندهم أكثر من عشرين سنة.

وقد **مجد العصرانيون المعتزلة**، وأعجبوا بمنطقهم وفلسفتهم، كما أعجبوا بالقدرية والشيعة، ويرى الدكتور عمارة أنّ ثورات الخوارج والمعتزلة والشيعة كانت بسبب الظلم الاجتماعي ونبذ بني أمية لمبدأ الشورى[2].

فالدكتور عمارة وأصحابه يكررون ما قاله المستشرقون أمثال «بروكلمان» في كتابه «تاريخ الشعوب الإسلامية»، فهو يعلي فيه من شأن القرامطة وثورة الزنج، وافترى على الصحابة افتراءً عجيباً.

ولعل الخلفية الفكرية عن صراع الطبقات والقضية العرقية عند الدكتور عمارة، هي التي أوحت إليه بتلك التصورات المضطربة[3].

● وقد **روج العصرانيون الجدد للاشتراكية والديمقراطية واليسار** ومن أقوالهم في ذلك: «ولم يكن هنا ما يغير الاشتراكية، ما دامت تبقي الإصلاحات الاقتصادية، وتطالب برفع الظلم عن كاهل العمال والفقراء، ولكنها أضحت فكراً خاطئاً حين لبست ثوب الأفكار الماركسية»[4].

---

(١) انظر: فجر اليقظة القومية: محمد عمارة /ص ١٤٠، ١٥٤/ وانظر غزو من الداخل /ص ٢٦/ جمال سلطان.

(٢) ينظر: التراث في ضوء العقل: محمد عمارة /ص ١٦٣/.

(٣) ينظر: محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: سليمان الخراشي. يقول الخراشي: «لقد اعتقل عمارة عام ١٩٥٩ م لمدة خمس سنوات ونصف أثناء فترة اعتقالات التيار اليساري والحركة اليسارية في مصر، وكان كذلك عضواً في حزب مصر الفتاة» وهو حزب قومي/المقدمة.

(٤) انظر: العصريون، يوسف كمال /ص ٣٨ ـ ٤٠/. وحكمة الدين: وحيد الدين خان /ص ٩/.

«واليسار المسلم يتمسك بالديمقراطية، إذ هي حكم الله في المصالح والعلاقات الإنسانية، حيث لا يكون النص الإلهي الملزم القاطع في وروده ودلالته»[1].

* * *

ومن الفرق الضالة التي مجدها العصرانيون: الدولة العبيدية، وثورة الزنج في البصرة. وهم يخالفون في ذلك جميع المؤرخين الثقات منساقين وراء فتنتهم بالثورات، وجرياً وراء آراء أساتذتهم من المستشرقين.

تمجيد الدولة العبيدية:

وقد خصص الدكتور محمد عمارة كتاباً كاملاً في تمجيد هذه الدولة الرافضية الإسماعيلية بعنوان: «عندما أصبحت مصر عربية»[2].

واعتبر أنّ توليها على مصر اكتمال لعروبتها[3].

ولننظر الآن في آراء علماء المسلمين المعتبرين حول هذه الدولة.

قال ابن كثير رحمه الله: «كانت مدة ملك الفاطميين «العبيديين» مائتين وثمانين سنة وكسراً، فصاروا كأمس الذاهب «كأنْ لمْ يغنوا فيها» وكان أول ملك منهم المهدي، وكان من سلمية حداداً اسمه عبيد وكان يهودياً، فدخل بلاد المغرب ويسمى بعبيد الله وادّعى أنه شريف علويّ فاطمي.. وصار ملكاً مطاعاً **يظهر الرفض وينطوي على الكفر المحض...**». قال عنهم ابن كثير: «كان الخلفاء الفاطميون من أغنى الخلفاء وأظلمهم، وأنجس الملوك سيرة، وأخبثهم سريرة، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات، وكثر أهل الفساد، وقل عندهم الصالحون من العلماء والعبّاد...»[4].

---

(١) مجلة المسلم المعاصر: العدد الافتتاحي / فتحي عثمان.

(٢) عندما أصبحت مصر عربية: محمد عمارة / طبعة بيروت ١٩٧٤ م.

(٣) ينظر: محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: الخراشي / ص ٦٨٢ ـ ٦٨٩/.

(٤) البداية والنهاية: ابن كثير، جـ ١٢/ ٢٦٧.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في فتوى له بشأن دعوى عصمتهم ونسبهم: «. . . هم من أفسق الناس ومن أكفر الناس، وما يدعي العصمة في النفاق والفسوق إلا جاهل مبسوط الجهل، أو زنديق يقول بلا علم»[1].

وقال رحمه الله أيضاً: «ادّعوا أنهم من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر، ولم يكونوا من أولاده، بل كان جدهم يهودياً ربيباً لمجوسي، وأظهروا التشيع، ولم يكونوا في الحقيقة على دين واحد من الشيعة الإمامية ولا الزيدية، بل ولا الغالية، الذين يعتقدون إلهية علي أو نبوّته، بل كانوا شراً من هؤلاء كلهم»[2].

وقال أبو الحسن القابسي: «إن الذين قتلهم عبيد الله وبنوه من العلماء والعباد أربعة آلاف رجل، ليردوهم عن الترضي عن الصحابة فاختاروا الموت»[3].

فأية جناية يقوم بها العصرانيون في تمجيد هؤلاء الضالين الذين يكفرهم علماء المسلمين؟!

ثورة الزنج:

من الثورات الطائشة التي اهتم بدراستها المستشرقون، كعادتهم في تمجيد التيارات الحاقدة في تاريخنا. وقد خصص الدكتور محمد عمارة مبحثاً كاملاً من كتابه «الإسلام والثورة» للحديث عن ثورة الزنج، إكمالاً لرسالة رجال الاستشراق والتنصير.

وكان مما قاله: «كان قائد هذه الثورة شاعراً وعالماً، وهو ثائر عربي

---

(١) الفتاوى: ٣٥/ ١٢٧.

(٢) الفتاوى: ٤/ ١٦٢.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: (ص ٤ ـ ٦).

وعلوي ـ رغم تشكيك خصومه في صحة نسبه العلوي ـ وأغلب قوادها كانوا عرباً»[1].

ثم يقول: «وكان لهذه الثورة أفكار اجتماعية متقدمة وبطولات ثورية، في ثورتهم هذه ضد النظام السياسي والاجتماعي الذي ساد بغداد»[2].

ويقول كذلك: «هذه الثورة قد بدأت في سلطة عربية ضد سلطة المماليك الترك، الذين كانوا يفرضون طغيانهم على خلفاء بني العباس وخلافتهم في بغداد»[3].

وقد كتب الأستاذ محمد جمال رسالة بعنوان «الفتنة السوداء» يقول فيها ما موجزه[4]:

«لقد سماه المؤرخون «صاحب الزنج» وهو رجل فارسي الأصل، محتال خبيث، يعمل عقله أكثر مما يعمل سلاحه، اصطنع لنفسه نسباً إلى آل البيت».

قال ابن كثير: «ولم يكن صادقاً، وإنما كان أجيراً عند بني عبد القيس، واسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم، وأصله من قرى الري».

● وكان يقول لأصحابه: «لقد عرضت عليّ النبوة، فخفت ألا أقوم بأعبائها، فلم أقبلها».

وعلى الرغم من ادعائه النسب إلى علي وفاطمة رضي الله عنهما، فإنه لم يجهر بعقائد المذهب الشيعي، وإنما جهر بعقائد الخوارج، وكان يسب علياً وعثمان ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

● يقول ابن الرومي يصف البصرة عندما اقتحمتها هذه الثورة الخبيثة:

---

(١)(٢) الإسلام والثورة: محمد عمارة ص (٢٦٠، ص ١٨).
(٣) التراث في ضوء العقل: (ص ٢١٩).
(٤) انظر: محمد عمارة، سليمان بن صالح الخراشي (ص ٦٧٣ ـ ٦٧٥).

ذاد عن مقلتي لذيذ المنام شغلها عنه بالدموع السّجام
أي نوم من بعدما انتهك الز نج جهاراً محارم الإسلام
أقدم الخائن اللعين عليها وعلى الله أيما إقدام
لهف نفسي عليك أيتها البصرة لهفاً كمثل لهب الضرام

قال الأستاذ محمد جمال في ختام بحثه القيّم عن هذه الفتنة: «هذه يا أخي القارىء حقيقة ما يسميه بعض من يزوّر الحقائق «بثورة الزنج التحررية». نقلت لك أخبارها بأمانة من أوثق كتب التاريخ الإسلامي»[1].

● إن العصرانيين يدعون إلى **ثورة لكنّها ثورة شوهاء**: ضد كل ثوابت هذا الدين، مع تمجيد الشخصيات المشبوهة في تاريخ المسلمين، انظر إلى هذا اللغط المحموم الذي يجسد آمال أعداء الإسلام فيه والذي يقول: «إن المثقف العربي يجب أن يجعل من نفسه الامتداد المتطور لثوار مصر الفرعونية ضد غزاتها، ولشعراء الفتوة وفرسان الصعاليك في عرب الجاهلية، ولثورة الإسلام التي جعلت الإنسان سيد الطبيعة، وللنضال الجماهيري لأبي ذر في سبيل العدل وللتطبيق العادل الذي صنعه أفراد مثل عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعمر بن عبد العزيز.

ولرواد العقلانية العربية الإسلامية من المعتزلة، ولديمقراطية الخوارج وثورتهم المستمرة، ولحركات الشيعة السرية وثوراتها، وللذين أحيوا تراث اليونان والهند والفرس بعد أن مات بين يدي أهله..

ولرواد عصر نهضتنا ويقظتنا، الذين أعادوا الروح إلى هذه الأمة بعد ليل العثمانيين والمماليك، من الطهطاوي إلى الأفغاني، ويعقوب صنوع إلى قاسم أمين، إلى طه حسين... إلى الأخيار الذين يجاهدون قوى التخلف والرجعية إلى الأبد»[2].

---

(١) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: الخراشي/ ص ٦٧٥.

(٢) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة (ص ٢٨٧)/.

الحقيقة أن هذا الكلام متهافت متناقض، لا يفسره لنا إلا اتباع الهوى والثورة على قيم التاريخ الإسلامي وأهله.

* * *

٤ ـ تمجيد الشخصيات المنحرفة:

وهو أمر غريب في تاريخ هذه الأمة إذ لم يترك العصرانيون شخصية خبيثة في معتقدها، منحرفة في مسلكها إلا وقد حاولوا تمجيدها، إذ مجدوا غلاة الصوفية كابن عربي والحلاج وأمثالهما، ومدحوا الحركات الباطنية كإخوان الصفا والحشاشين والقرامطة. ومعلوم أن المستشرق «ماسينيون» قد اهتم ببعث التراث الصوفي الفلسفي كالحلاج وكتابه الطواسين، واهتم بابن سبعين وبمذاهب الباطنية[١].

قال الدكتور محمد عمارة: «ابن عربي في التصوف الفلسفي قمة القمم، لا في حضارتنا العربية الإسلامية فقط، بل وعلى النطاق الإنساني، وهو بمقياس «السلفية المحافظة» أو «الفقهاء» وثني زنديق»[٢].

وكثيراً ما أشاد عمارة وأمثاله (بالتصوف الفلسفي) رغم خروج أصحابه على الشريعة، إلا أنه يعتبره نظرة للكون وتصور للوجود تتخذ من العقل ومن الذوق معاً أدوات للنظر في الكون والوجود. وأصحاب هذا النهج لا يقفون عند حدود الشريعة، كما حددها الفقهاء، ومن هنا جاء الصراع بين الصوفية والفقهاء، لكن تاريخ هذا الصراع يشهد بأن الفقهاء كانوا أضيق أفقاً كما كانوا أدوات للسلطة الحاكمة على عكس الفلاسفة الصوفيين[٣].

وفلاسفة الصوفية قالوا بوحدة الوجود، وتعطيل الشريعة ورفع التكاليف عنهم، وكان لهم تأثير سلبي على الحياة الاجتماعية في القرن

---

(١) ينظر: ما كتبناه عن الاستشراق والاستعمار، الباب الأول الفصل الرابع ص ١٠٦.
(٢) التراث في ضوء العقل/ ص ٢٩١/.
(٣) السابق: (ص ٢٩٦).

السابع الهجري وما تلاه[1].

● **ويمجدون غيلان الدمشقي كذلك**، وكان قد قتل على بدعته في القدر، إذ ناظره الأوزاعي وأفتى بقتله. قال الذهبي: «غيلان بن أبي غيلان المقتول في القدر ضال مسكين»[2]. وقال الساجي: «كان قدرياً دعا عليه عمر بن عبد العزيز.. فقتل وصلب وكان غير ثقة، ولا مأمون. كان مالك ينهى عن مجالسته»[3].

● ويعمق العصرانيون انحرافات المعتزلة لتمجيد رجالاتهم، بعد لمز علماء السنة.

فها هو عمارة، يشيد بقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الهمذاني فهو: «أعظم أئمة المعتزلة في عصره، وصاحب التراث الذي لولاه لما بقي لنا من تراث المعتزلة، ما يجلو موقفهم الفكري على حقيقته..

وقد قاد الصحوة الاعتزالية في عصر اضطهاد المعتزلة، فقد بلغت الدولة العباسية في ذلك الاضطهاد، إلى حد تحريم فكر المعتزلة بمرسوم هو أشبه ما يكون بمراسيم الحرمان الكنسية أيام الخليفة القادر»[4] مما يذكرنا برأي أحمد أمين بالمعتزلة.

ويمجد عمرو بن عبيد «فهو زاهد المعتزلة وناسكهم وعالمهم.. وقائدهم.. وقد ساهم في الثورة ضد بني أمية..»[5].

أما المدرسة الإصلاحية: فهي صاحبة الفكر المتطور والمتجدد، يقول

---

(١) ينظر: كتابنا، بدع الاعتقاد وأخطارها على المجتمعات المعاصرة، الباب الثالث (التصوف . . .).

(٢) الميزان: للذهبي جـ ٣/ ٢٣٨.

(٣) لسان الميزان: ٤/ ٤٢٤.

(٤) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة (ص ١٠٩ ـ ١١٠). دار الوحدة/ بيروت/ ١٩٨٠ م.

(٥) التراث في ضوء العقل: (ص ٢٧ ـ ٤٠).

محمد عمارة: «إن تيار الجامعة الإسلامية الذي أسسه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، قدم أكثر تصورات العصر دقة وعمقاً وجرأة للإسلام.. وإن هذا الإسلام بهذه التصورات كان الامتداد المتطور والمتجدد للإسلام الدين، والإسلام الحضارة، مطبقاً على مشكلات العصر ومستجيباً لها[1].

● وها هو حسين أحمد أمين يمدح يزيد بن أبي سفيان صاحب الحرة الذي استباح مدينة الرسول ﷺ وقتل كثيراً من أهلها، ومنهم أصحاب رسول الله ﷺ.

ويمجد الحجاج بن يوسف الثقفي الذي حاصر مكة المكرمة وقتل ابن الزبير وخرب الكعبة بالمنجنيق، وكان جباراً ظالماً. يقول فيه: «إنه أعظم الإداريين في تاريخ العالم»[2].

ومع هذا فإنه يصب جام غضبه على الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله. فيرى أنه ساهم بجهله في الشؤون السياسية في تدهور أحوال الدولة الأموية ثم سقوطها. ثم يقول: «ولم تجلب سياسته المالية والإدارية غير خراب الدولة»[3].

هكذا تكون الموضوعية والأمانة في دراسة التاريخ الإسلامي، عند دعاة التغريب!!.

● ويعود الدكتور عمارة ليشيد بالجوانب المظلمة من سيرة جمال الدين الأفغاني، كتنظيم جمعية العروة الوثقى السرية، ومبادئها مليئة بالإشارات والرموز السرية، ويتحدث عن تأسيسه محفلاً وطنياً شرقياً، علاقاته مع المحفل الفرنسي. استمع إليه وهو يقول: «من مجموعة الأوراق والوثائق والمراسلات التي بقيت من آثار هذا التنظيم نضع يدنا على خبرة

---

(١) الإسلام والعروبة والعلمانية: ص ٨١/ دار الوحدة/ بيروت ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٤ م.
(٢) انظر: دليل المسلم الحزين، طبعة مدبولي، (ص ٢٦٩).
(٣) السابق ص ٢٠٣، وإسلام آخر زمن: منذر الأسعد (ص ٦٩ ـ ٧٠).

في العمل السياسي والتنظيمي بلغت درجة عالية من النضج والعبقرية.. وهذه خبرات نعتقد أن لها صلات وثيقة بتراث العرب والمسلمين في التنظيم السري منذ جمعيات المعتزلة، وإخوان الصفا والقرامطة والحشاشين»[1].

ثم **مجد العصرانيون** الشيخ علي عبد الرازق على خدماته الرائعة لهدم الشريعة!! على طريقة الكنائس النصرانية. وقد عرفنا فيما سبق أن واضع الكتاب الأصلي مستشرق يهودي محترف هو (مرجليوث)، وأنه أهداه للشيخ علي عبد الرازق، وأن علي عبد الرازق كان ينتمي إلى أسرة عريقة في خدمة المستعمر الإنجليزي[2].

رغم ذلك كله يقول محمد عمارة فيه: «تتفق آراء كثير من المفكرين على اعتبار كتاب الشيخ علي عبد الرازق ـ الإسلام وأصول الحكم ـ أهم الكتب التي صدرت منذ بداية النهضة العربية الحديثة..

لأنه يمثل موقفاً شجاعاً من شيخ واجه الملك وعلماء الدين الدائرين في فلك الملك والعامة المنقادين لعلماء الدين!

ولقد كان الشيخ من تلامذة مدرسة الإمام محمد عبده، وتأثير فكر الإمام المعادي للسلطة الدينية، واضح تماماً في منطلقات علي عبد الرازق..»[3].

هكذا وقف العصرانيون في صف أعدائنا في قضايا الحكم والتشريع، وفي السنة النبوية وقضايا الإسلام الأخرى.

---

(١) الأعمال الكاملة لمحمد عبدة: ١/١٢٩، ٣٥/ تأليف محمد عمارة/ بيروت/ دار القدس/ ١٩٧٨ م.

(٢) انظر: الإسلام والخلافة، ضياء الدين الريس/ ص ١٦٦ ـ ١٨٥.

(٣) التراث في ضوء العقل/ ص ٣٠١ ـ ٣٠٢/ محمد عمارة.

المبحث الخامس

الدعوة إلى وحدة الأديان

- خطورتها العقدية.
- نشأتها: وجدت عند ملاحدة الصوفية، وعند التتار، وراودت تفكير جمال الدين الأفغاني وتلميذه محمد عبده.
- العصرانيون الجدد والقول بوحدة الأديان: د. عبد العزيز كامل - د. أحمد كمال أبو المجد - د. حسن حنفي - عبد اللطيف غزالي - فهمي هويدي.
- صلتها بالماسونية: الميمات الثلاث ومبادىء الحرية والإخاء والمساواة.

المبحث الخامس

الدعوة إلى وحدة الأديان

تتمثل عقيدة المسلمين في أن الإسلام هو الدين الحق الذي جاء مكملاً للأديان السماوية، ومصححاً ما حرفه أصحاب تلك الأديان.

إلا أن شعارات منحرفة، ومصطلحات غريبة، بدأت تغزو المجتمعات ومنها مجتمعات المسلمين، أمثال: العالمية وتوحيد الأديان، أو التقارب بينها.. وهي دعوة ماسونية في أهدافها، والمضمون واحد في الدعوتين.

«ويزعم أصحاب هذه الدعوة أن العالمية هي السبيل إلى جمع الناس على مذهب واحد، تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام محل الخلاف.

والدعوة باطلة من أساسها، لأنها تخالف سنة ثابتة من سنن الله في الأرض، وهي دفع الناس بعضهم ببعض، وضرب الحق والباطل، والهدم والبناء وجهان لهذه السنة، لا يفتآن يعملان دون انقطاع، وكل ميسر لما خلق له»[1].

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (سورة البقرة: ٢٥١). وقد حرص الإسلام على تمييز المسلمين من سائر الأمم بوصفهم أمة ذات كيان مستقل، وفي سبيل هذا الحرص.. نهاهم عن أن يقلدوا غيرهم في ملبسهم

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية: د. محمد محمد حسين/ ص ١٩٣.

أو عاداتهم فقال عليه الصلاة والسلام: «من تشبّه بقوم فهو منهم»[1].

وعمد الإسلام إلى مخالفتهم في هيآتهم في كثير من الحالات. فالدعوة إلى العالمية ـ وما شابهها ـ دعوة هدامة مخرّبة من وجوه كثيرة، ولها تطبيقات واسعة في كل نواحي الحياة وأنشطتها المختلفة، من سياسية ودينية واقتصادية وأدبية..

إذ الهدف أن تصبح الأرض وطناً واحداً يدين بدين واحد.. ويتذوق الآداب بذوق مشترك، وهي تشكك الناس في ولائهم الديني والوطني، ثم تتركهم في الفوضى والقلق وسط أنقاض ما هدّمت من عقائد، وما قطّعت من وشائج»[2].

● والدعوة إلى وحدة الأديان فكرة قديمة، **وجدت عند ملاحدة الصوفية** كما ذكر ابن تيمية رحمه الله في عدد من كتبه وهذه الفكرة الخبيثة قد وجدت قديماً عند ملاحدة الصوفية كابن سبعين وابن هود والتلمساني[3]، قال ابن تيمية رحمه الله: «كان هؤلاء كابن سبعين ونحوه يجعلون أفضل الخلق «المحقق» عندهم، وهو القائل بالوحدة، وإذا وصل إلى هذا فلا يضره عندهم أن يكون يهودياً أو نصرانياً، بل كان ابن سبعين وابن هود والتلمساني وغيرهم يسوغون للرجل أن يتمسك باليهودية والنصرانية كما يتمسك بالإسلام، ويجعلون هذه طرقاً إلى الله بمنزلة مذاهب المسلمين»[4].

كما وجدت عند التتار. يقول ابن تيمية في ذلك: «وكذلك الأكابر

---

(١) رواه أبو داود في كتاب اللباس.

(٢) انظر الإسلام والحضارة الغربية/ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦/.

(٣) انظر نواقض الإيمان: د. عبد العزيز العبد اللطيف/ ص ٣٧٨.

(٤) الرد على المنطقيين لابن تيمية: ص ٢٨٢/ الطبعة الثانية/ ١٣٩٦ هـ/ طبعة لاهور باكستان ومجموع الفتاوى ١٤/ ١٦٥.

من وزرائهم وغيرهم، يجعلون دين الإسلام، كدين اليهود والنصارى، وأن هذه كلها طرق إلى الله بمنزلة المذاهب الأربعة عند المسلمين»[1].

● وهذه الدعوة راودت تفكير **جمال الدين الأفغاني** منذ أواخر القرن الثامن عشر. قال محمد عمارة: «لقد راودت الأفغاني أحلام السعي لتوحيد المؤمنين بالدين، وأبناء الشرائع السماوية الثلاث، سدّاً للثغرات أمام الأعداء، وتعبيراً عن اتحاد مقاصد الشرائع السماوية نحو الخير والحق والعدل.. وعن هذا الهدف كتب فيلسوفنا العظيم يقول: «لقد لاح لي بارق أمل كبير: أن يتحد أهل الأديان الثلاثة، مثلما اتحدت الأديان في جوهرها وأصلها وغايتها، وبهذا الاتحاد يكون البشر قد خطوا نحو السلام خطوة كبيرة في هذه الحياة القصيرة»[2].

ومن أقوال الأفغاني أيضاً: «إن الأديان الثلاثة الموسوية والعيسوية والمحمدية[3]، على تمام الاتفاق في المبدأ والغاية وإذا نقص في الواحد شيء من أوامر الخير المطلق، استكملته الثانية.. وعلى هذا لاح لي بارق أمل كبير أن يتحد أهل الأديان الثلاثة»[4].

● وتأثر بهذه الدعوة تلامذة الأفغاني، وعلى رأسهم الشيخ **محمد عبده**، إذ قد دعا إلى التقريب بين الأديان، وكان ذلك بإيعاز من الأفغاني، فقد اتصل الشيخ محمد عبده برجالات الدين النصراني، وتفاوض معهم منذ عام /١٨٨٣ م/ عندما كان منفياً في بيروت.. وقد أخذت هذه الدعوة شكلاً عملياً بعد وفاة الأفغاني..

---

(١) مجموع الفتاوى: ٢٨/ ٥٢٣.

(٢) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة/ ص ٢٣٦/.

(٣) المحمدية اسم يطلقه اليهود والنصارى على الإسلام. قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ (الحج: ٢٢).

(٤) الأعمال الكاملة لجمال الدين الأفغاني. محمد عمارة/ ص ٦٩ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ بيروت/.

حيث اتصل بقس إنجليزي اسمه «إسحق تيلور» وكتب إليه رسالتين للتقريب بين الأديان.. وقد صرح (تيلور) بأن تفسير الإمام يمهد له الطريق لإثبات الوحدة بين الديانتين، في وسط يلتقي فيه المؤمن بالقرآن والمؤمن بالإنجيل.

وسرت هذه الروح بعد الشيخ محمد عبده حتى اشتعلت في مصر ثورة /١٩١٩ م بقيادة صحبه وتلاميذه، وفي مقدمتهم سعد زغلول، حتى اتحد الصليب والهلال، وخطب شيوخ الأزهر في الكنائس، واعتلى القسس منابر الأزهر[١].

ثم ظهرت هذه الدعوة من جديد في السنوات الأخيرة، حين قام جماعة من المعروفين بميولهم الصهيونية، بعقد مؤتمر للتأليف بين الإسلام والنصرانية في بيروت /١٩٥٣ م، ثم في الاسكندرية عام /١٩٥٤ م.

وقد كثرت الأقاويل في أهداف هذه الجماعة، وفي مصادر تمويلها، وأصدر الحاج أمين الحسيني بياناً أثبت فيه صلة القائمين على هذه الدعوة بالصهيونية العالمية[٢].

ومن آخر هذه المؤتمرات المؤتر المنعقد في موسكو تحت عنوان «الإسلام والتفاهم بين الأديان والشعوب في العالم المتغير» في الفترة من ٢٦ ـ ٢٨ مايو/ ١٩٩٥ م. تحت رعاية منظمة اليونسكو ومشاركة العديد من الهيئات الدينية، وأوصى المؤتمر بدعوة المسلمين في العالم عامة، وفي روسيا الاتحادية، ودول الكومنولث على وجه الخصوص لمواصلة دورهم الحضاري الفاعل، والتفاعل الإيجابي مع أصحاب الديانات الأخرى، وتحقيق السلام الاجتماعي والتضامن الوطني في بلدانهم[٣].

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية/ ص ٨١ وما بعدها/ وينظر: تاريخ الأستاذ الإمام: ١/ ٨١٧ لمحمد رشيد رضا.

(٢) ينظر: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: ٢/ ٣١٩ ـ ٣٢٠ والإسلام والحضارة الغربية / ص ٢٠٨/.

(٣) جريدة الشرق القطرية: ٥ محرم ١٤١٦ /٣ يونيو/ ١٩٩٥ م.

والإسلام دين عالمي بمعنى أنه رسالة موجهة لأهل الأرض جميعاً، تدعوهم إلى الدخول فيه، قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٧٩) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، (الأعراف: ١٥٨).

أما أن تختلط شركيات النصارى واليهود بدين الله الخالص، فلا يقول به إلا معتوه، أو من اهتزت ثقته بدينه.

● **العصرانيون الجدد والقول بوحدة الأديان**: لقد تحمس العصرانيون الجدد إلى هذه الدعوة وتجاوزوا فيها كل حد، وهذه نماذج من أقوالهم.

● **قال الدكتور عبد العزيز كامل**: «ونحن في منطقة الشرق الأوسط، نؤمن بالتوحيد بطريقة أو بأخرى، وأقولها واضحة، يستوي في هذا: الإسلام والمسيحية واليهودية، حتى الإيمان بالأقانيم الثلاثة في الفكر المسيحي يختم بإله واحد. هذه منطقة توحيد، والصور تختلف، وتفسيرها الفلسفي يختلف»[1].

● وينعى الدكتور **أحمد كمال أبو المجد** على الذين يسرفون في القول بتميز الإسلام على غيره، كاليهود والنصارى، فذلك مخالف للقرآن الكريم ذاته ـ كما يزعم ـ.

يقول: «والذين يسرفون في الإلحاح على تميز الإسلام والمسلمين تميزاً شاملاً مطلقاً محجوجون بنصوص القرآن الكريم، التي تصف أنبياء الله بوصف الإسلام ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (آل عمران: ٦٧).

وهم محجوجون كذلك بحقيقة وحدة الإنسانية، ووحدة مصدر الأديان السماوية، وبأن العهد الذي أخذ بحمل الأمانة إنما أخذ على آدم أبي

---

(١) ينظر: كتابه، (الإسلام والعصر /ص ١٩٤/ نقلاً عن: العصريون ليوسف كمال.

البشرية، وعلى بنيه مسلمين وغير مسلمين. ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ (الأعراف: ١٧٢)[١].

● وللدكتور **محمد عمارة نظريته في وحدة الأديان** أعلنها تحت شعار «**وحدة الدين الإلهي**»، فهو يرفض تقسيم الناس على هذا الأساس (المتخلف)، إلى مؤمنين وكفار، لأن ذلك التقسيم، قد ارتبط بالعصور الوسطى وعهود الظلام»[٢].

ويرى أن رفاعة الطهطاوي قدم فكراً مستنيراً في هذا الجانب حيث قدم «تقسيماً جديداً، لا يقوم على معايير الكفر والإيمان، وإنما يقوم على مقاييس، التحضر والخشونة»[٣].

«والفروق بين المسلمين وأهل الكتاب، ليست من الخطر، بحيث تخرج الكتابيين من إطار الإيمان والتدين بالدين الإلهي»[٤].

● أما **الدكتور حسن حنفي**: فهو **أشد صراحة** في طرحه لهذه القضية يقول: «لا يوجد دين في ذاته، بل يوجد تراث لجماعة معينة، ظهر في لحظة تاريخية محددة، ويمكن تطويرها للحظة تاريخية قادمة»[٥].

ويعتبر ما تقدم هدماً لأصول الدين على طريقة الفكر الماركسي.

● ويقول **عبد اللطيف غزالي**: «لمَ يعتقد أتباع كل دين أن الله يختصهم بالجنة، ويذر غيرهم وأكثر الناس في النار؟ إن إلهاً هذا شأنه وإن

---

(١) انظر: حوار لا مواجهة/ ص ٢٠٧، أحمد كمال أبو المجد.

(٢)(٣) تيارات اليقظة الإسلامية: محمد عمارة (ص٢٨٠) / سلسلة الهلال/ ١٩٨٢ م. وانظر غزو من الداخل (ص ٦٤).

(٤) تجديد الفكر الإسلامي: محمد عمارة (ص ٨٢).

(٥) التراث والتجديد: حسن حنفي ص ٢٢.

صح ـ وحاشا أن يصح ـ لا يكون إله طائفة قليلة بالنسبة لسائر الناس، لأنه ليس ثمة دين يضم أكثر البشر.. إن العمل الصالح لهو اليوم أفضل جهاد في سبيل الله»[1].

● ويعجب **فهمي هويدي** من خطيب جمعة رآه يتحدث في خطبة عن أن المسلمين «خير أمة أخرجت للناس»، وأن فرش المسجد ولباس الشيخ من صنع غير المسلمين!![2].

● ويعجب الشيخ **محمود أبو رية** في كتابه (دين الله واحد)، كيف سيحرم (أديسون) مخترع النور الكهربائي من الجنة، وقد أضاء العالم كله، حتى مساجد المسلمين باختراعه؟!.

وعندما قيل له: إن أديسون لم ينطق بالشهادتين. قال: إذا كان هذا الرجل العظيم لم يدخل الجنة شرعاً، أفلا يمكن أن يدخلها عقلاً بفضل الله ورحمته؟ مادام يؤمن بخالق السماوات والأرض[3].

وممن دعا إلى هذه العقيدة في السنوات الأخيرة: رجاء جارودي، كما يتضح ذلك من رسالته المسماة «وثيقة أشبيلية»[4].

* * *

إن **الدعوة إلى وحدة الأديان**، وكما لاحظنا من أقوال دعاتها **دعوة ماسونية**. فالماسونية تدعو إلى الإنسانية، ومحبة البشر كلهم بلا تمييز، والشيوعية كذلك تدعو إلى الإنسانية والسلام ـ حسب زعمها ـ ودعاة التوفيق

---

(١) العصريون: يوسف كمال (ص ١٠٩).

(٢) مجلة العربي / ١٤٠١ هـ/ شهر ربيع الأول.

(٣) العصريون: يوسف كمال، (ص ١١٢) بإيجاز.

(٤) انظر: نواقض الإيمان / ص ٣٧٧، وجارودي كان نصرانياً ثم أعلن إسلامه، وشيوعياً قديماً، ثم بدأ نشاطه نحو توجيه المسلمين، وعلى كلٍ نحن لا نأخذ ديننا عمن أسلم حديثاً

بين الأديان يدعون إلى ديانة مبتكرة يرتضيها كل الناس، منهم البهائية، ومنهم أصحاب الدعوة إلى التقريب بين الإسلام والنصرانية، ومن هؤلاء شهود يهوه، والروتاري[1].

ومن كلام الماسون ما كتبه أحد كبار رجالهم ـ محمد رشاد فياض، رئيس محفل الشرق الأكبر العالمي، والملقب عندهم بالقطب الأعظم ـ في كتابه: «النور الأعظم» حيث قال: «الميمات الثلاث في الموسوية والمسيحية والمحمدية، يجتمعون في ميم واحد، هو ميم الماسونية، لأن الماسونية عقيدة العقائد، وفلسفة الفلسفات، إنها تجمع وتوحد المتفرقات، وإن ما أورثه الأباء الصالحون للأبناء هو مبادىء الحرية والمساواة والإخاء»[2].

«وإن من يحدث نفسه بالجمع أو التقريب بين الإسلام واليهودية والنصرانية كمن يجهد نفسه في الجمع بين النقيضين، بين الحق والباطل، وبين الكفر والإيمان»[3].

● إن الدعوة إلى وحدة الأديان كفر صريح، لما تتضمنه من تكذيب للنصوص الصحيحة الظاهرة والتي تقرر ـ قطعياً ـ بأن دين الإسلام الكامل والذي أتم الله به النعمة، ورضيه لنا ديناً، أنه هو الناسخ لما سبقه من ديانات اعتراها التحريف والتبديل. قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ (آل عمران: ٨٥). ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨).

وقد حرَّم الله تعالى موالاة الكفار من أهل الكتاب وغيرهم فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ (المائدة: ٥١).

● ورحم الله سيد قطب إذ وضّح هذه القضية فقال: «إن سماحة

---

(١) الإسلام والحضارة الغربية / ص ٢٠٦/.
(٢) النور الأعظم / ص ١١٢/ نقلاً عن الإسلام والحضارة الغربية / ص ٢٠٧/.
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٨٥.

الإسلام مع أهل الكتاب شيء واتخاذهم أولياء شيء آخر، ولكنهما يختلطان على بعض المسلمين الذين لم تتضح في نفوسهم الرؤية الكاملة لحقيقة هذا الدين..

إن هؤلاء يغفلون عن التوجيهات القرآنية الواضحة الصريحة فيها.. وسذاجة أية سذاجة أن نظن أن لنا وإياهم طريقاً واحداً نسلكه للتمكين للدين أمام الكفار الملحدين!! فهم مع الكفار والملحدين إذا كانت المعركة ضد المسلمين.

فهم الذين شنوا الحروب الصليبية خلال مائتي عام، وهم الذين ارتكبوا فظائع الأندلس، وهم الذين شرّدوا المسلمين في فلسطين وأحلوا اليهود محلهم..

إن التسامح يكون في المعاملات الشخصية، لا في التصور الاعتقادي، ولا في النظام الاجتماعي، أما هؤلاء فيحاولون تمييع اليقين الجازم في نفس المسلم، الذي يقرر أن الله لا يقبل ديناً إلا الإسلام[1]. ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ (آل عمران: ١٩) ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (آل عمران: ٨٥) فتاوى اللجنة الدائمة ٢/ ٨٥.

● **وهذه دراسة حول سيطرة الصهيونية العالمية على الحوار بين الأديان من رسالة دكتواره ننقلها من مجلة الدعوة كما هي[2]:**

مؤتمرات مشبوهة بمسمى «حوارات الأديان»:

إسرائيل.. تدير الحوارات!

القاهرة ـ «الدعوة»:

أكدت رسالة دكتوراه حديثة ناقشتها جامعة الأزهر المصرية مؤخراً أن

---

(١) انظر: في ظلال القرآن: جـ ٢/ ٩٠٩ ـ ٩١٥/ بتصرف.

(٢) العدد ١٥٠٩ ـ الخميس ٢٦ ربيع الآخر ١٤١٦ هـ الموافق ٢١ سبتمبر ١٩٩٥ م ـ الدعوة ص ١٤/ الصادرة في مدينة الرياض.

جماعات الضغط واللوبي اليهودي والصهيوني في البلدان الغربية تسيطر على كل المؤتمرات والندوات الخاصة بحوار الأديان، وكشفت الرسالة العلمية المتخصصة عن أن هذه المؤتمرات أخذت موقفاً معادياً للحقوق العربية والإسلامية، وتجاهلت التطرق للمقدسات الإسلامية في محاولة للالتفاف على نفس التصورات ووجهات النظر الإسرائيلية والتي تحدد اعتبار مدينة القدس عاصمة موحدة للدولة اليهودية، وأنه لا تنازل أو انسحاب من هذه المدينة بغض النظر عن أية مفاوضات أو مباحثات خاصة بالتسوية في المنطقة.

وأضافت رسالة الدكتورة فايزة محمد بكري خاطر بكلية البنات جامعة الأزهر أن الملاحظات الميدانية والبحثية لمجمل المؤتمرات الخاصة بحوار الأديان كشفت أن إسرائيل تتدخل في تحديد أطرافها والمشاركين فيها والموضوعات التي سوف تناقشها كما تبذل جماعات الضغط الصهيونية دوراً موازياً يتسق مع أهداف ومخططات ومصالح إسرائيل بصفة عامة.

واستعرضت الدراسة تاريخ الحوار بين الأديان السماوية الثلاثة: الإسلام واليهودية والنصرانية، فكشفت الدور الخطير والمتصاعد للصهيونية العالمية في تحريك أطراف الحوار بما يمهد لاستقرار وهيمنة إسرائيل في المنطقة، أو يزيد من صلفها وتعنتها نحو استعادة الحقوق العربية. ففي مؤتمر حوار الأديان الذي عقد في لبنان عام ١٩٧٠م والمعروف باسم مؤتمر «عجلتون» أشارت الرسالة إلى إهمال وتجاهل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين في الخارج، بينما اهتم نفس المؤتمر بما أسماه «متطلبات العدالة بين إسرائيل وجيرانها العرب من تكامل وتعاون، وقبول ومشروعية، تحفظ أمن إسرائيل واستقرارها من دون عداء أو حرب مع العرب»، وعلى هذا النحو انعقد مؤتمر آخر في عام ١٩٧٤م يسمى مؤتمر الكنائس الأعلى في جنيف وانتهى المؤتمر إلى أحقية اليهود في أرض فلسطين بحجة أنها مسألة لها سند في الكتاب المقدس، أما حقوق الفلسطينيين فهي مسألة (غير لاهوتية) ومجرد قضية أخلاقية.

وبحلول عام ١٩٨٨م كما تقول الرسالة وصلت مؤتمرات حوار

الأديان إلى مرحلة تطور مهمة وبالغة الخطورة، ففي المؤتمر النصراني الصهيوني الدولي رفض المشاركون إدانة أو شجب أو استنكار المذابح والممارسات التعسفية الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، وهو ما تزامن مع اندلاع الانتفاضة الفلسطينية وتصاعد موجة العنف العسكري لقمعها وحصارها، بل إن واحدة من توصيات نفس المؤتمر قالت: إن المعلومات الخاصة بتجاوزات الحكومة الإسرائيلية غير كافية لإدانتها، ومن ثم فإن المؤتمرين يهنئون دولة إسرائيل بالذكرى الـ ٤٠ لقيامها (كان ذلك عام ١٩٨٨م)!

المفارقة التي تعكسها فصول رسالة الدكتوراه التي منحتها جامعة الأزهر للباحثة فايزة محمد بكري أن الضغوط الإسرائيلية الصهيونية وصلت إلى الحد الذي دفع بأحد كبار المهتمين بالحوار بين الأديان في الغرب لأن يكتب مقالاً بمجلة «النيوزويك» الأمريكية الشهيرة مطالباً فيها النصرانية والعالم النصراني باستجماع شجاعتهم للوقوف أمام التحركات الصهيونية، مطالباً بإيقاف الحوار وسرعة إبعاد التحرك الصهيوني فيه لصالح قضاياه مع العرب، ودعا إلى اتحاد أصحاب الديانات الحية الأخرى للوقوف ضد الصهيونية العالمية. وعلى هذا النحو تنقل الدراسة رأياً لأحد المفكرين العرب ينتقد فيه بشدة هذه المؤتمرات فيقول إن المسألة لم تعد نقاشاً دينياً في حوار بين الأديان، ولكنها أصبحت مساومة سياسية هزيلة **تقودها** جماعات ضغط صهيونية لا تبتغي سوى مصلحة إسرائيل، حتى ولو أدى ذلك إلى الإضرار باستقلال وسيادة أي من شعوب المنطقة. وتنتهي رسالة الدكتوراه إلى عدد من التوصيات فتركز على الدعوة إلى مقاطعة هذه المؤتمرات المشبوهة، وكشف الأسلوب المتخفي لإدارتها وتوجيهها وصياغة تصوراتها نحو عدد من القضايا والمشكلات الراهنة، بالإضافة إلى دعوة عدد من المتخصصين المحايدين والموضوعيين في البلدان الغربية إلى التأكد من نيّات وأفكار الباحثين المشاركين في هذه المؤتمرات، ووضع ضوابط أمام هذه المشاركة بحيث لا تخرج عن هدفها المرسوم.

المبحث السادس

موقف العصرانيين من الجهاد في سبيل الله

- أهمية الجهاد في سبيل الله.
- مدارس حديثة تأثرت بمزاعم المستشرقين السلميّة:
  - المدرسة الإصلاحية.
  - السيد أحمد خان والقاديانيون.
- العصرانيون الجدد: وفكرة اللاعنف والحرب الدفاعية.
- خطورة مواقف العصرانيين في قتل روح الجهاد، وتناسي ما يفعله الأعداء بالمسلمين في هذا العصر.

المبحث السادس

موقف العصرانيين من الجهاد في سبيل الله

أهمية الجهاد في سبيل الله[1]:

أوجب الله الجهاد على المسلمين فقال: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (سورة التوبة: ٤١).

وقال ﷺ: «مَنْ مات ولم يغزُ، ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق»[2].

لقد وجه الإسلام القتال نحو غايات سامية، وأهداف خيرة، على رأسها إعلان ألوهية الله وحده سبحانه، وتحقيق ربوبيته للعالمين «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[3].

فبالجهاد يحرر البشر ليختاروا العقيدة التي يرونها، وفيها «اعتناق العقيدة بحرية، ثم ليقيم الإسلام نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً.. بعد إزالة القوة المسيطرة من قبل طواغيت الأرض»[4].

وبعد نشر التوحيد فهنالك رد الاعتداء عن المسلمين، وحماية ديارهم من شر الكفرة، ثم إرهاب الكفرة وإذلالهم وهذه بعض أهداف الحركة الجهادية في الإسلام.

● والجهاد قد يكون هجوماً، وقد يكون دفاعاً، والثاني فرض عين

---

(١) انظر تفصيلاً لذلك في كتابنا: الحياة السياسية عند العرب /ص ٢٨٥ ـ ٢٩٦.

(٢)(٣) صحيح مسلم بشرح النووي: ١٣/٥٦/٣ ـ السابق/ ١٣/٤٩.

(٤) في ظلال القرآن /جـ ٣/ ١٤٢٥/.

على المسلمين عموماً حتى يندفع شر الأعداء، وفي الحديث الشريف: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله»[1].

● إلا أن أعداء هذا الدين غاظهم انتصارات المسلمين وفتوحاتهم وأكل الحقد قلوبهم، فراحوا يشككون السذج من المسلمين بعقيدة الجهاد، وحاول المستشرقون إيهام هؤلاء بأن دينهم قد انتشر بالسيف والإرهاب، والعقائد لا تنتشر بالسيف وهذه من مقولات المستشرق اليهودي «جولد زيهر». إن هؤلاء يكابرون ويتجاهلون أن الإسلام كان رائد رحمة وعدل خلال فتوحات المسلمين، وما حمل أتباعه السيف لإكراه الناس على اعتناقه أبداً، وإنما ليقرروا نظام الإسلام في الأرض ويقرروا حرية الدعوة بعد حرية العقيدة، وهذا ما أخاف الأعداء من عقيدة الجهاد، فخدعوا المتباكين من أبناء المسلمين، بأن الدين الحق، لا ينتشر بالسيف[2].

لقد دب الرعب في قلوب الأعداء من اليهود والنصارى، ولذلك هرعوا لإماتة روح الجهاد في نفوس المسلمين على ثلاث جبهات: جبهة المبشرين، وجبهة المستشرقين، وجبهة الصنائع والمغفلين من أبناء المسلمين[3].

«إن المسلمين قد غزوا الدنيا كلها من قبل، وقد يفعلونها مرة ثانية»[4].

ويقول ولفرد كانتول سميث: «إن أوروبا لا تستطيع أن تنسى ذلك الفزع الذي ظلت تحس به عدة قرون، والإسلام يجتاح الأمبراطورية الرومانية من الشرق والغرب والجنوب».

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي: ١/٢١٢.
(٢) عن الحياة السياسية عند العرب بإيجاز /ص ٢٩٣ ـ ٢٩٧/.
(٣) انظر: أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية: د. علي العلياني /ص ٢٩٧ ـ ٣٠٢/.
(٤) مجلة العالم الإسلامي الإنجليزية.

لقد تبنت عدة مدارس تَمييع عقيدة الجهاد، وقصره على الدفاع فقط، وذلك ما سوف نبيّنه فيما يأتي:

مدارس حديثة تأثرت بمزاعم المستشرقين السلمية:

كتب عدد من الكتاب ممن تأثر بمزاعم المستشرقين، مشككين في الجهاد ومحذرين من عودته في العصر الحاضر.

● فأصحاب **المدرسة الإصلاحية** بزعامة الأفغاني ومحمد عبده هم أول من قصر الجهاد على جهاد الدفاع، فقد تأولوا في التفسير وجاروا مذهب الاعتزال في معظم ما كتبوا.

ويرى هؤلاء الإصلاحيون أن الفتوحات الإسلامية اقتضتها طبيعة الملك.. وشرع القتال للدفاع عن الحق وأهله، وعلى ملوك المسلمين أن يعدوا للدعوة عدتها من العلم والحجة، بسبب حال العصر وعلومه.

لقد جارى الشيخ محمد عبده رغبة صديقه اللورد كرومر في دعوته إلى السلم، وكان ذلك ردة فعل أيضاً على اتهامات المستشرقين الذين زعموا أن الإسلام انتشر بالسيف.

قال كرومر في تقريره السنوي لعام (١٩٠٥) م عن الشيخ محمد عبده: «كان لمعرفته العميقة بالشريعة الإسلامية ولآرائه المتحررة المستنيرة أثرها في جعل مشورته، والتعاون معه عظيم الجدوى. وقال: «فأتباع الشيخ يستحقون كل ميل وعطف وتنشيط من الأوروبيين». «وأنه وتلاميذ مدرسته خليقون بأن يقدم لهم كل ما يمكن من العون والتشجيع، فهم الحلفاء الطبيعيون للمصلح الأوروبي»[1].

● وكان **السيد أحمد خان**: يرى أن الجهاد يشرع فقط للدفاع عن

---

(١) انظر تفصيلاً لذلك: في منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير (ص ٨٠٤ ـ ٨٠٨) فهد الرومي، وأهمية الجهاد: العلياني (ص ٣٢٦ وما بعدها).

النفس، وفي حالة واحدة فقط هي اعتداء الكافرين على المسلمين من أجل حملهم على تغيير دينهم، أما إذا كان الاعتداء من أجل أمر آخر كاحتلال الأراضي، فالجهاد عندها غير مشروع، وذلك ليجد مبرراً لمسالمة الإنجليز أسياده والمحتلين لبلاده[1].

● **أما القاديانية**: فقد حرم زعيمها غلام أحمد فريضة الجهاد على اتباعه، دعماً لأسياده الإنجليز في الهند. يقول في كتابه «تبليغ الرسالة»:

«الجهاد حرام، وطاعة الإنجليز واجبة، والحكومة الإنجليزية سيفي، لماذا لا نفرح بسقوط بغداد على أيدي البريطانيين، نحب أن نرى سيفنا يلمع في العراق، وفي جميع البلدان العربية»[2].

● **أما العصرانيون الجدد**: فقد ساروا على خطا من سبقهم من أصحاب المدرسة الإصلاحية، أو الاستشراق، وقد مرّ معنا تشكيكهم بحركة الجهاد الأولى، وأصحاب الفتوحات الإسلامية، عند الجابري وعمارة وأمثالهما. وطبيعي أن لا يرى هؤلاء إلا جهاد الدفاع، لأن ذلك يتماشى مع الدعوة إلى العالمية ووحدة الأديان، والسلم العالمي الموهوم.

لقد كتب هؤلاء كثيراً عن السلم ونفروا من العنف، واعتبروا الجهاد هو بذل الطاقة والجهد لأجل شهادة الحق، وإن التعايش السلمي يجب أن يحل محل الحرب بين الدول والشعوب.

● يقول **عبد اللطيف غزالي**[3]: «إن العمل الصالح هو العمل المنتج،

---

(١) ينظر: مفهوم تجديد الدين (ص ١٣٠ ـ ١٣١). وحركة السيد أحمد خان، الباب الأول: الفصل الثالث من هذا الكتاب، (ص ٧٥ ـ ٩١).

(٢) انظر: الحركات المناهضة للإسلام: د. محمد يوسف النجرامي / ص ٨٠/ ط دار الفكر / ١٤٠٠ هـ.

(٣) نظرات في الدين: عبد اللطيف غزالي (ص ٣٦ ـ ٣٧).

مثل أن يكون هو العبادة. إن هذا العمل الصالح لهو اليوم أفضل جهاد في سبيل الله» «ولقد صار البديل عن الجهاد هو العمل، ولقد صار البديل عن الحرب هو التعايش السلمي بين الدول والشعوب».

● ويكتب **فهمي هويدي** كثيراً عن هذا الموضوع ويردد آراء المستشرقين الحاقدين. ويعتبر أن القتال يعطل رسالة التبليغ، يقول: «ومنذ البداية سلح الله المسلمين بالكلمة، وكان أول ما أنزله الله على نبيه هو: (اقرأ وليس اضرب)، أو «ابطش»، فكان كتاب المسلمين هو «القرآن الكريم».

«لم يكن سلاح المسلمين سيفاً ولا سوطاً، ولم تكن شريعتهم قانون حرب..».

«إن القتال في التصور الإسلامي ينبغي أن يظل منعطفاً يُكرَه إليه المسلمون، أو نوعاً من «الهبوط الاضطراري»، الذي يعترض المسار الطبيعي لرحلة التبليغ الإسلامية.

من هنا فإن الإسلام يظل ضرورة لازمة، كي يؤدي المسلمون رسالة التبليغ، ويظل القتال عنصراً معطلاً لأداء هذا التكليف الإلهي»[1].

● وفي فصل: «عندما يشهر سيف الإسلام» يقول: «وهكذا تتابعت الفتوح بحكم الضرورات الحربية وحدها.. وجاهد المسلمون أنفسهم والناس جهاداً كبيراً ليؤمّنوا دولتهم»[2].

وفي تأويله للحديث الشريف «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله»[3]. يقول: «وحقيقة الأمر أن المعني بالناس هنا ليس كل البشر، وإنما هم جماعة من البشر»؟!!.

---

(١) مواطنون لا ذميّون: فهمي هويدي ص (٢٣٦).

(٢) مواطنون لا ذميّون (ص ٢٤٩).

(٣) متفق عليه.

وحديث «من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق»[1].

يقول في هذا الحديث: «الحديث لا يدين كل مسلم لا يقاتل في سبيل الله، الأمر الذي قد تشتم منه رائحة التحريض، التي يحاول البعض اصطيادها من السياق..

ولا نرى في الحديث وجهاً لاستثارة المسلمين على غيرهم، ذلك أن الأمر كله كان على عهد رسول الله ﷺ..»[2].

أي أن هذه الأحاديث كانت لمناسبات تاريخية انتهى زمنها.

● وخلال **ندوة تلفزيونية مع الدكتور حسن الترابي**[3]، كان يجيب فيها على بعض الأسئلة، ومنها ما يتعلق بموضوع الجهاد حيث يقول تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (التوبة: ٥).

ويقول الرسول ﷺ: «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم»[4].

قال الإمام أحمد بن حنبل: «وفقه هذا الحديث: أن الجهاد مع كل إمام إلى يوم القيامة»[5].

● ويقول الدكتور الترابي في معرض رده على الأسئلة: «لكن القول بأن القتال حكم ماض، فهذا قول تجاوزه الفكر الإسلامي الحديث، في الواقع الحديث، ولا أقول إن الحكم قد تغير، ولكن أقول: إن الواقع

---

(١) رواه مسلم.

(٢) مواطنون لا ذميّون: (ص ٢٦١ ـ ٢٦٢).

(٣) أجراها الأستاذ محمد بشير في شهر ٦/١٩٨٨ م.

(٤) البخاري ومسلم: ينظر صحيح الجامع الصغير /طبعة ثانية/ ص ٦٣٢/ الألباني.

(٥) الجامع الصحيح لسنن الترمذي: جـ ٤/ ١٧٥، تحقيق كمال يوسف الحوت.

جديد، وهذا الحكم عندما ساد كان في واقع معين، وكان العالم كله قائماً على علاقات العدوان، لا يعرف المسالمة، ولا الموادعة بين الدول.

كانت امبراطوريات، إما أن تعدو عليها، أو تعدو عليك. ولذلك كان الأمر كله قتالاً في قتال، أو دفاعاً في دفاع إن شئت».

* * *

وممّن نفّر من العنف، وأعجب بفكرة السلام العالمي الموهوم، الكاتب الإسلامي: **مالك بن نبي رحمه الله**[1]:

وقد أبرز هذه الفكرة في عدد من كتبه، فهو يرى مثلاً: «أن الإسلام والهندوسية تنفيان سيف العقيدة»[2].

ولا يخفي مالك بن نبي إعجابه بغاندي العظيم؟! ويخصه بمقال مملوء بالإكبار، فهو بطل السلام، قاوم الإنجليز مقاومة سلبية: «إذ رجعت الدبابات إلى الوراء، وتقهقرت عند تلك الأجسام التي انفرشت على الأرض أمامها، تقهقرت أمام أفواه ترتل بعض الأذكار المقدسة، وأمام أرواح منغمسة في صلوات صامتة؟! إن جهاز الاستعمار الضخم وقف عند حدوده وباء بالخسران أمام معزة غاندي وسرباله ومغزله، وصلواته وصيامه مع الجماهير وفي خلواته».

«إن رفات غاندي التي ذروها في مياه الغانج المقدسة، ستجمعها الأيام في أعماق ضمير الإنسانية، كيما ينطلق يوماً انتصار اللا عنف ونشيد السلم العالمي»[3].

وفي فصل آخر يتحدث عن إعجابه بنهرو وطاغور، للسبب نفسه ثم

---

(١) هذه الفقرة وما بعدها مقتبسة من كتابنا: الحياة السياسية عند العرب /ص ٣٠١ - ٣٠٧/.

(٢) كتاب الفكرة الأفريقية الآسيوية: مالك بن نبي /ص ١٤٨/.

(٣) في مهب المعركة: مالك بن نبي (ص ١٤٩ - ١٥٢)/ فصل تحية إلى داعية اللاعنف /ط دار الفكر/ ١٩٨١ م.

يتساءل: هل من بين هؤلاء الزراع لفكرة اللاعنف في القرن العشرين.. هل من بينهم مسلمون؟ (ويجيب)، ويؤسفنا أن لا نجد من بينهم..»[1].

إن التعلق بالسلام أمر طيب، والتنفير من الحروب شعور نبيل، إلا أنه حلم مثالي شاعري بعيد عن الواقع وطبيعة البشر، وفكرة غير شرعية تنافي مبدأ الصراع الذي ذكره الله في كتابه ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ﴾ (سورة الحج: ٤٠).

والإعجاب بالوثنيين ومحبتهم، يناقض ما كان عليه السلف، ويناقض نصوص الشرع الحنيف ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ (المجادلة: ٢٢). وقد أثبتت الأيام أن الهنود دعاة السلام من أتباع غاندي قد داست دباباتهم جنود باكستان المسلمة، في اعتداء صارخ على ديار المسلمين، فضاعت الشعارات، وما نفع رفات غاندي الملقى في مياه الغانج المقدسة؟!.

إن ثقافة مالك الشرعية كانت ضعيفة، إذا قيست بقراءاته الغربية، وهذا ما جعله يخطىء في عدة أمور تتعلق بالأحكام الشرعية.

ورغم ذلك كله كان مالك رحمه الله عميقاً في فهم غدر الاستعمار وأساليبه الخفية، وعميقاً في معالجة القابلية للاستعمار عند المسلمين.. فهو مفكر خبير في نهضة المجتمعات وأمراض المسلم المعاصر، إلاّ أنّ هذه الإيجابيات لا تمنعنا من ذكر بعض السلبيات، ولعل آلامه مما كان يعانيه الشعب الجزائري من الاستعمار الفرنسي، جعلته يحن إلى فكرة اللاعنف بهذا المنظور[2].

---

(١) المرجع السابق فصل رولان ورسالة الهند (ص ١٥٣ ـ ١٥٤).

(٢) انظر: مجلة البيان، العدد (٢٣) قراءة في فكر مالك بن نبي، للأستاذ محمد العبدة.

● إلا أن أفكار الأستاذ مالك التي بذرها، وسّعها بعض تلامذته المتأثرين به، فانحرفوا بعيداً عن جادة الصواب في مفهوم الجهاد في سبيل الله[1].

من هؤلاء الشيخ جودت سعيد في كتابه: مذهب ابن آدم الأول، فقد وقع في أخطاء واضطراب في عرضه لمفهوم الجهاد في سبيل الله.

● وممن تعلق بفكرة اللاعنف، وشكك بمبدأ الجهاد، من أتباع هذه المدرسة الطبيب **خالص جلبي**: فقد هاجم خلافة بني أمية مردداً في ذلك أحقاد المستشرقين، وفضل عليها خلافة بني العباس.

إذ أن خلفاء بني أمية حملوا راية الجهاد وفتحوا كثيراً من البلدان، ودخلت كثير من الشعوب الإسلام على أيديهم وأيدي ولاتهم.

يقول خالص جلبي: «وبفعل الانحراف الأموي، فإن الملكية الاستبدادية نقلت وطعمت وألصقت إلى الجسم الغريب»[2].

أما **الفتوحات العثمانية**: فقد هاجمها الكاتب هجوماً عنيفاً مردداً أقوال المستشرقين من أساتذته، يقول في ذلك: «والعالم الإسلامي، بدأ بالثورة الروحية العقلية، منذ الوحي في غار حراء، وانتهى بالعسكرية التركية، التي أنهت كل دفعة حيوية في العالم الإسلامي.. والعسكرتارية بالبارود والنار دخلت شرق أوروبا، ولكنْ فرق كبير بين دخول الإسلام إلى الشرق الأوسط والهند مثلاً، وبين دخوله على يد الأتراك إلى شرق أوروبا ومَنْ يتأمل يدرك»!![3].

فالعثمانيون لهم أخطاؤهم ولا شك، ولكن الفتوحات تعتبر من مفاخرهم التي لا ينكرها إلا مَنْ حقد على اجتياح شرق أوروبا وسقوط إستانبول على يد محمد الفاتح رحمه الله.

---

(١) انظر: مجلة البيان، العدد (٢٣) قراءة في فكر مالك بن نبي، للأستاذ محمد العبدة.

(٢)(٣) النقد الذاتي: خالص جلبي /ص ١١٢، ٢٣١/.

لقد شارك الكاتب بقية رجال المدرسة العصرانية، عندما هاجموا الفتوحات العثمانية، متهمين إياها بالهمجية والتوحش[1].

● يقول الأستاذ محمد قطب: «ويكفي العثمانيين - في ميزان الله - أنهم توغلوا في أوروبا الصليبية، وفتحوا للإسلام ما فتحوا من أراض وقلوب.. ويكفيهم أنهم حموا العالم الإسلامي من غارات الصليبيين خمسة قرون متوالية، ويكفيهم أنهم منعوا قيام الدولة اليهودية على أرض الإسلام..»[2].

* * *

فالعصرانيون يسعون إلى قتل روح الجهاد، بتأصيل تربية ذليلة خانعة، تريح العدو وتغيظ الصديق.. مع العلم أن للجهاد ضوابطه وشروطه الشرعية، وينبغي عدم تجاوزها.

إلا أن العصرانيين «يحاولون إيجاد مبررات دفاعية للجهاد الإسلامي، بالمعنى الضيّق للمفهوم العصري للحرب الدفاعية، ومحاولة البحث عن أسانيد لإثبات أن وقائع الجهاد الإسلامي كانت لمجرد صد عدوان القوى المجاورة على (الوطن الإسلامي).

فهي محاولة تتم عن قلة إدراك لطبيعة هذا الدين.. كما أنها تشي بالهزيمة أمام ضغط الواقع الحاضر، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الإسلامي!».

«ترى لو كان أبو بكر وعمر وعثمان - رضي الله عنهم - قد أمنوا عدوان الروم والفرس على الجزيرة، أكانوا يقعدون إذن عن دفع المد الإسلامي إلى أطراف الأرض؟! وكيف كانوا يدفعون هذا المد أمام الدعوة،

---

(١) انظر: ما كتبه محمد جابر الأنصاري ومحمد عمارة عن الفتوحات العثمانية/ فصل تزوير التاريخ وتمجيد الشخصيات المنحرفة من هذا الكتاب ص ٢٨٥ وما بعدها.

(٢) واقعنا المعاصر: الأستاذ محمد قطب/ ص ١٥٢، ٣١٦/.

تلك العقبات المادية من أنظمة الدولة السياسية، وأنظمة المجتمع المختلفة، والتي تحميها القوة المادية للدولة كذلك؟! إنها لسذاجة أن يتصور الإنسان دعوة تعلن تحرير «الإنسان».. في الأرض كل الأرض، ثم تقف أمام هذه العقبات، تجاهد باللسان والبيان»!![1].

* * *

إن الذين يتظاهرون بالظرف والوداعة، متعلقين بالسلم الموهوم، يتغافلون عن أيدي الأعداء وقد لطخت بدماء إخوانهم من أبناء المسلمين. كيف يتغافلون عن هذا؟!

«وبالسيف اقتحم الغرب بلاد المسلمين، وبالسيف أخضع ثورات شعوبها، والعنف العسكري كان وما يزال السمة الغالبة في اجتياح بلاد المسلمين، وشرط إخضاع الشعوب الإسلامية والسيطرة على ديارها..

فالعنف وإدامة العنف هو لغة الفرنجة مع الشعوب الإسلامية وخلال حربين عالميتين، والعنف هو مزية القوم في تدمير شعب البوسنة والهرسك، وإحراق القرى والمدن، وفي تقتيل شعب الشيشان بإجماع دولي»[2] وحاضر العالم الإسلامي خير شاهد على ما نقول.

---

(١) معالم في الطريق: سيد قطب/ فصل الجهاد في سبيل الله/ ص ٨٨ ـ ٨٩.

(٢) الإسلام وتحديات الانحطاط المعاصر: منير شفيق/ الزهراء للإعلام العربي /ص ٧٧ ـ ٧٩/ بتصرف وإيجاز.

المبحث السابع

ظاهرة اليسار الإسلامي

١ ـ الجذور التاريخية والفكرية لهذا التيار:

٢ ـ الدوافع والأهداف:

ـ دواعي ظهور اليسار عند أصحابه.

ـ أبرز الأهداف:

أ ـ النقد الذاتي للحركة الإسلامية.

ب ـ إحياء الجوانب الثورية في الإسلام.

جـ ـ الوحدة الوطنية.

د ـ إقامة مجتمع إسلامي.

هـ ـ كيف سيحقق اليسار أهدافه.

٣ ـ أهم الخصائص الفكرية لليسار الإسلامي:

أ ـ معاداة منهج النص وتقديم العقل عند التعارض.

ب ـ الموقف من التراث.

جـ ـ الفهم المقاصدي للشريعة.

د ـ رؤية اليسار في السياسة والاقتصاد والاجتماع.

ظاهرة اليسار الإسلامي

هي لون آخر من ألوان العصرانية الجديدة، بل تعتبر إفرازاً معقداً لذلك الخلل في المعادلة بين معطيات الإسلام، والمدنية الغربية.

«إذ أن المثقف العربي المعاصر، جعل المشكلة في الموازنة بين الإسلام ذاته، وبين المدنية الغربية، ثم جعل نفسه هو المرجع والحكم في الترجيح والتوفيق والأخذ والرفض، فنشأ من هنا الضلال الكبير...

وما قصة اليسار الإسلامي إلا نموذج لمثل هذه النتاجات الشائهة، التي صدرت عن هذا الخلل المنهجي، في قضية محاولتهم التوفيق بين الإسلام والماركسية»[1].

«وظاهرة اليسار ظاهرة معقدة حساسة، كثرت حولها التساؤلات، وتعددت بشأنها التأويلات، فمن قائل إنها «حركة تصحيحية» تريد القيام بنقد ذاتي للحركة الإسلامية المعاصرة، إلى قائل بأنها تصور جديد للإسلام يلتقي مع «الجوانب المتقدمة والثورية» في التراث الإسلامي والإنساني عامة، إلى قائل بأنها تلفيق بين الإسلام والماركسية، إلى قائل بأنها «شيوعية مستترة»[2].

ودعاة هذا التيار لم تنضج رؤيتهم حول دعوتهم بعد، ولم يتفقوا على منهج موحد ـ كما سيأتي بيانه ـ وما كتبناه عن التجديد العصراني في

---

(١) ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي/ دار النشر الدولي الرياض/ ١٤١٤ هـ (ص ٥ ـ ٦)، المقدمة لجمال سلطان.

(٢) السابق: محسن الميلي (ص ١١).

المباحث السابقة، ينطبق معظمه على تيار اليسار الإسلامي، ورجال اليسار هم بعض رجال المدرسة العصرانية، أمثال حسن حنفي، فتحي عثمان، سيف الإسلام محمود، محمد عابد الجابري وغيرهم.

وإن كان تيار اليسار يركز على: الثورة وتبني الاشتراكية والعدل الاجتماعي، وقضايا أخرى.

١" ـ الجذور التاريخية والفكرية لظاهرة اليسار الإسلامي:

اليسار الإسلامي ككل ظاهرة فكرية حضارية، لم ينشأ في فراغ، ولم يولد خارج التاريخ، وهو يقدم نفسه كفكر متأصل تاريخياً، وليس كنتاج مستورد، أو خواطر فردية.

هذا الفكر هو عملية انتقاء قسرية، لما يريد دعاة اليسار قوله حول قصة اليمين واليسار، وتأصيل الثورة ـ وأنها منهج الأنبياء ـ وتلميع الفكر الاشتراكي، مع إعطاء ذلك كله ثوباً شفافاً من الإسلام، بحيث يجذب إليه جمهور المسلمين، الذي رفض الأفكار المستوردة الصريحة، والبحث عن الجذور لهذا التيار يوضح ما نقول.

يقول حسن حنفي: «يتأصل اليسار الإسلامي في الجوانب الثورية في تراثنا القديم».

وهو يشير بذلك إلى أن التصورات المختلفة للعقائد كما مثلتها الفرق الإسلامية فيها: يمين ويسار.

فالمعتزلة يسار، والأشاعرة يمين.. والفلسفة بها يمين ويسار، فالفلسفة العقلانية عند ابن رشد يسار، والفلسفة الإشراقية الفيضية عند الفارابي وابن سينا يمين.

والتشريع به يمين ويسار، فالمالكية التي تقوم على المصالح المرسلة يسار، والفقه الافتراضي عند الحنفية يمين.

وفي التفسير: التفسير بالمعقول يسار، والتفسير بالمأثور يمين..

وفي التاريخ: الفتنة الكبرى، علي يسار ومعاوية يمين[1].

أما في التاريخ الحديث فإن ظهور اليسار الإسلامي يمثل امتداداً لحركة الأفغاني ومحمد عبده الإصلاحية، التي ظهرت في نهايات القرن التاسع عشر، باعتبارها أول مشروع إسلامي في تاريخنا الحديث عبّر عن واقع المسلمين، واحتياجاتهم السياسية والاجتماعية[2].

فجذور اليسار الإسلامي تتلخص في:

فكر المعتزلة، والمدرسة الإصلاحية، وبعض الجوانب من التراث الإنساني عموماً.

يقول حسن حنفي: «يتأصل اليسار الإسلامي في الجوانب الثورية في تراثنا القديم، وبالتالي تكون مهمته إحياء هذه الجوانب وإبرازها وتطويرها، حتى تتأصل ثورة المسلمين وتزول عقبات تقدمهم».

فاليسار يتفق مع أصول المعتزلة الخمسة، إذن هو اتجاه اعتزالي في العقيدة[3]. وهو يعتز بمنهج الأفغاني ومحمد عبده وتلاميذه[4].

وهنالك **التراث الإنساني**: ففي بعض جوانبه جذور لليسار الإسلامي.

ذكرت مجلة (١٥ ـ ٢١) في عددها الأول: «أن الفهم التقدمي للإسلام لا يخفي تفتحه على كل الأفكار التقدمية والثورية في تاريخ الإنسانية».

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: د. حسن حنفي /مجلة اليسار الإسلامي/ العدد الأول (ص ٨) ـ شهر ربيع الأول/ ١٤٠١ هـ.

(٢) ماذا يعني اليسار: حسن حنفي/ العدد الأول.

(٣) ماذا يعني اليسار الإسلامي: (ص ١٣ ـ ١٥).

(٤) قد فصلنا الحديث عن المعتزلة والمدرسة الإصلاحية في الباب الأول من هذا الكتاب.

ويذكر حسن حنفي في نفس المجلة: أن اليسار الإسلامي يجد أصوله في القرآن والتراث العربي الإسلامي، وفي بعض جوانب التراث الغربي، ويقول في الحوار الذي أجرته معه هذه المجلة: «إننا في غياب البديل الإسلامي الثوري، لجأنا بالضرورة إلى الماركسية لحل قضية العدالة الاجتماعية، وإلى الليبرالية (الديمقراطية) لحل القمع المسلط على شعوبنا، وإلى القومية لإنهاء حال التشرذم، وإلى ديكارت لتأكيد العقلانية.. لقد لاحظ اليسار الإسلامي أن في التراث الغربي بعض الجوانب الإنسانية المضيئة لا يمكن إهمالها، ولا يمكن القيام بنهضة فكرية واجتماعية، مالم نستفد من هذه الجوانب التي يلخصونها في العقلانية، والعدالة الاجتماعية، والحرية السياسية والوحدة القومية»[1].

٢"ـ اليسار الإسلامي: الدوافع والأهداف[2]:

يعرِّف حسن حنفي ظاهرة اليسار الإسلامي بأنها «**مشروع حضاري**» شأنه شأن كل مشروع، له دوافع عملت على ظهوره، وله أهداف سيحققها.

فما هي هذه الدواعي؟ وما هي تلك الأهداف؟!.

دواعي ظهور اليسار الإسلامي:

عندما نقرأ كتابات حسن حنفي يظهر لنا، وكأن اليسار الإسلامي حتمية تاريخية، وإن لم يصرح بهذا.

وأمام فشل الحركات التحديثية ذات المشارب الفكرية والاجتماعية المختلفة «يأتي اليسار الإسلامي، كي يحقق أهداف الثورات الوطنية،

---

(١) مقال عن المنهج: القسم الثاني من مجلة (١٥ ـ ٢١) العدد الأول.

(٢) ينظر: ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي /ص ٣٩ ـ ٥٠/ وماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي /ص ٣٨ ـ ٤٦/.

ومبادىء الثورة الاشتراكية، وذلك من خلال تراث الأمة واعتماداً على وعي الجماهير الإسلامية»[1].

إلا أن حسن حنفي ليس الوحيد، الذي يعتقد بضرورة ظهور اليسار، فقد شهدت مجلة «المسلم المعاصر» في بعض أعدادها حواراً ساخناً حول هذه المسألة، ومن بين الذين أكدوا هذه الفكرة: رضا محرم، وفتحي عثمان، وسيف الإسلام محمود[2].

يقول رضا محرم: «إن جمع المسلم المعاصر صفتي «المسلم» و«اليساري» تصبح ظاهرة طبيعية، بل وتصبح ظاهرة لا بد منها حتى لا تصيبه حالة فصام حضاري، نتيجة عجزه عن التوفيق بين عقيدته الدينية، وبين إدراكه اليومي لسلامة المعطيات اليسارية، ومقدرتها على إخراجه من المأزق الاجتماعي والاقتصادي الذي يتردى فيه»[3].

أما سيف الإسلام محمود فيرى أن اليسار الإسلامي نشأ في ظرف ملائم بصفته «الاتجاه المعارض والمصحح في داخل الحركة الإسلامية... والناظر إلى الحركة الإسلامية المعاصرة، يجد أنها لم تكن يوماً في حاجة إلى هذا اليسار حاجتها إليه الآن»[4].

ويضيف حسن حنفي: «أن اليسار الإسلامي نتيجة حتمية لنجاح الثورة الإسلامية في إيران» كما أنه «تطوير للإصلاح الديني الذي بدأناه في المائتي سنة الأخيرة، كما ينتسب إلى الفكر الإسلامي (علي شريعتي) ومحاولاته لبناء الذات الثورية».

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: (ص ١٠).
(٢) ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي / ص ٤٠.
(٣) المسلم المعاصر: العدد (١٥)، بل المسلمون يسار ويمين - رضا محرم.
(٤) المسلم المعاصر: العدد (١٤) اليسار الإسلامي: دعوة إليه وتعريف جديد / سيف الإسلام محمود.

بل يذهب إلى أكثر من ذلك حينما يقول: «وقد يكون من بيننا مجدد القرن الخامس عشر طبقاً لحديث المجددين»[1].

ويلاحظ أن دعاة اليسار لم يتفقوا على تلك العوامل فيما بينهم.

● **أبرز الأهداف والمهام**[2]: نلخصها فيما يأتي:

أ ـ النقد الذاتي للحركة الإسلامية:

حيث أن اليسار الإسلامي بصفته الاتجاه المعارض والمصحح داخل الحركة الإسلامية «سيكون أول من يدرس الحركة الإسلامية دراسة موضوعية واعية، بروح الناقد المخلص، لا روح العدو، وبذلك يكون فرصته لننشر غسيلنا القذر على حبالنا نحن، لا على حبال الجيران أو الأعداء»[3].

ثم يدعو الكاتب إلى وضع استراتيجية للحركة الإسلامية، كخطوة بارزة لهذا اليسار، ذلك أن الحركة الإسلامية ـ كما يرى هؤلاء ـ لا تتملك برامج وبدائل، وهي مكتفية بالعموميات وبالخطاب السياسي والأخلاقي، الذي لا يحلل الواقع ولا يدرسه.

ب ـ إحياء الجوانب الثورية في الإسلام:

من أجل تحويل الإصلاح الديني إلى نهضة حضارية شاملة، لتحريك الشعوب الإسلامية. يقول حسن حنفي: «ومهمة اليسار الإسلامي، الكشف عن العناصر الثورية في الدين، أو تأويل الدين على أنه ثورة، فالدين في ذاته ثورة، وكان الأنبياء ثواراً مصلحين ومجددين، فقد مثل إبراهيم ثورة العقل ضد التقاليد، وثورة التوحيد ضد التجسيم، ومثّل موسى ثورة التحرر ضد الطغيان.. وكان محمد ثورة الفقراء والعبيد والمضطهدين ضد الأغنياء وسادة قريش وطغاتها، من أجل إقامة مجتمع حرية وإخاء ومساواة. ويؤرخ

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي/ العدد الأول.

(٢) ينظر ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي ص (٤٣ ـ ٤٥).

(٣) المسلم المعاصر: عدد (١٤)، سيف الإسلام محمود.

القرآن للنبوة على أنها ثورة ضد المفاسد الاجتماعية والخلقية..»[1]. «وقد زخر التاريخ الإسلامي بالثورات الدينية والاجتماعية والسياسية مثل: ثورة القرامطة وثورة الزنج في تاريخنا القديم، والحركات الإصلاحية كالمهدية والسنوسية وثورة الجزائر وعمر المختار»[2]*.

جـ ـ الوحدة الوطنية:

والمقصود لتحقيقها كما يقول حسن حنفي: «عقد حوار بين الاتجاهات الإسلامية كلها في العالم الإسلامي دون جدل أو مهاترات، أو دون إثارة الأحقاد أو بث الضغائن» ويتسع هذا الحوار ليشمل سائر الاتجاهات الأخرى: الإخوان المسلمون لأنهم يمثلون تياراً أصيلاً، فلهم جهادهم الذي تذكره لهم مصر والعالم الإسلامي كله، في صراعهم ضد الملكية والاستعمار، وجهادهم في فلسطين والقنال...

والماركسيون لأنهم ساهموا في الصراع ضد الاستعمار، ومقاومة أعوانه في الداخل، وتقوية الوعي الطبقي لدى العمال، وتكوين طليعة ثورية من الطلبة...

وقام الناصريون بأكبر إنجاز اجتماعي في تاريخنا الحديث لتحقيق العدالة الاجتماعية، والقضاء على الإقطاع، وعلى رأس المال والاستعمار.

والإخوة في الحرية «الليبراليون» أي الديمقراطيون أمثال لطفي السيد والعقاد وطه حسين. إذ تحدثوا عن المعذبين في الأرض، وعن الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية في الإسلام».

«ولا يرى اليسار الإسلامي أي حرج في أن يعتبر نفسه إسلامياً، أو

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي /ص ٣٨/.

(٢) المرجع السابق /ص ٣٩/.

(*) وبذلك يحاول الكاتب أن يصبغ دعوات النبوة، بالنزعة الثورية، ويخلط بين الثورات المنحرفة الضالة، وثورة الرجال المخلصين في تاريخنا.

عربياً أو عالمياً، أو قومياً دينياً أم علمانياً، فالإسلام دين وقومية، عربي وعالمي، دين ودولة..».

«كل ذلك من أجل تجاوز التناقضات ووحدة الأهداف وتكامل الأبعاد بعيداً عن الصراعات»[1].

د ـ إقامة مجتمع إسلامي:

يعتمد على تعددية نماذجه وأهم خصائصه: استلهام المبادىء العامة للشريعة في صياغة قوانينه، وأنه مجتمع إنساني يؤمن بالإنسان كذات معنوية، واعتماد الفلسفة العامة للتشريع وفيه تقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد.

هـ ـ كيف سيحقق اليسار أهدافه[2]:

اليسار الإسلامي لا يزال (مشروعاً)، لم يتميز بهويته المتكاملة، كما لم تحدد منهجية إنجازه بعد، وسنذكر أقوالاً لأصحاب الفهم التقدمي للإسلام، ولأصحاب اليسار.

يذكر أحميدة النيفر في افتتاحية العدد الأول من مجلة (١٥ ـ ٢١) التي يرأس تحريرها، أن عمل التجديد الذي ينادي به ليس عمل شخص أو بضعة أفراد، إنه مشروع مدرسة كاملة.

ويعتقد سيف الإسلام محمود في مقال له في مجلة المسلم المعاصر: «أن اليسار الإسلامي سيكون المحتضن للشباب الجامعي، الذي يتمزق بين سلبيات الحركة والولاء لها، والحرص على عدم رفع صوته».

أما حسن حنفي فيعطي لليسار تعريفاً آخر أكثر شمولاً، حيث يتحول معه اليسار إلى مجموعة كتابات ذات الاتجاهات الفكرية والسياسية المتباينة،

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي (ص ٤٠ ـ ٤٥) ـ حسن حنفي.

(٢) ينظر: ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي (ص ٤٥ ـ ٤٨).

ويعرفه بأنه ليس حزباً سياسياً، ولا يمثل معارضة حزبية، ولا يتوجه ضد أحد.. فالمعارك أساساً في ثقافة الأمة، ولا تمثل كتاباته تياراً واحداً إذ يضم اليسار الإسلامي مجموعة من الكتابات والآراء المتعددة، وكل كاتب مسؤول عن فكره، ولكن تجمعها جميعاً الرغبة في إبراز الجوانب التقدمية في الإسلام، وعناصر الثورة في تاريخنا.

فقد يقترب بعض الكتاب من الأخوة في الله «الإخوان المسلمون»، وقد يقترب البعض الآخر من الأخوة في الوطن «الماركسيون»، وقد يقترب فريق ثالث من الأخوة في الثورة «القوميون»، وقد يقترب فريق رابع من الأخوة في الحرية «الليبراليون». ولكن يجمعهم جميعاً البحث والاجتهاد.. واختلافنا كاختلاف الأئمة واختلاف الصحابة، كلنا يبتغي الحق ويعمل له، ويشهد عليه»[1].

ويرى الدكتور عمارة أن الماركسية تجربة تصلح لأن نتخذ منها مصدراً من مصادر فكرنا الحديث. يقول:

«فيما يتعلق بالماركسية، في تقديري أنه فيما يتعلق بالفكر الاجتماعي أو الاشتراكية العلمية على وجه التحديد، فهي نمط فكري وتجربة في التطبيق صالحة كي نسترشد بها، ونتخذ منها مصدراً من مصادر فكرنا، لا بمعنى النقل الحرفي أو التقليد، وهنا يجدر التنبيه إلى الجانب المادي فيما يتعلق بالماركسية، وهو الجانب الذي يثور حوله الجدل الكثير»[2].

ويقول أيضاً: «أنا أعتقد بصدق ما قاله «روجيه جارودي» من أنه لو أتيحت لماركس السبل لاستكمال دراسته للحضارة الإسلامية، لكانت هناك قسمة جديدة في الماركسية..»[3].

وبذلك نرى أن عملية التوفيق بين المتناقضات، أمر مستغرب وبعيد

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي (ص ٤٦ ـ ٤٧).

(٢)(٣) التراث في ضوء العقل: محمد عمارة (ص ٢٧٠ ـ ٢٧١).

عن الواقع، وأكثر من ذلك يعتقد هؤلاء أن اختلافهم كاختلاف الأئمة والصحابة سواء بسواء!!.

«ولا شك أن العجب سيصيب البعض، ولكن من يدري، فلعل الأمر يتعلق بفهم جديد للإسلام والقومية والماركسية والليبرالية، أي بفهم يضم كل هذا الشتات في تركيب واحد»[1] تحت عباءة اليسار الإسلامي!!.

٣" ـ أهم الخصائص الفكرية لليسار الإسلامي[2]:

تتميز مدرسة اليسار بنفس الخصائص والمزايا التي تميزت بها المدرسة العصرانية عموماً، ومعظم ما تحدثنا عنه في الباب الثالث هذا، ينطبق على ظاهرة اليسار الإسلامي، بل هي جزء من العصرانية، ورجالها هم رجال من أصحاب التجديد العصراني، إلا أننا سنركز على بعض الجوانب فيما يأتي:

أ ـ معاداة منهج النص وتقديم العقل عند التعارض[3]: وأبرز رجال هذا الاتجاه هو الدكتور حسن حنفي، ورأيه واضح في هذه القضية[4].

يقول: «النص يعتمد على سلطة الكتاب، وليس على سلطة العقل، وحجة السلطة ليست حجة، لأن هناك كتباً مقدسة كثيرة، في حين أنه يوجد واقع واحد وعقل واحد..».

«نحن علماء اجتماع واقتصاد وتاريخ.. لا نعتمد على سلطة الكتاب وحدها، فحجة النص شيء وحجة العقل شيء آخر».

«ولذلك ما يهمنا هو روح العصر، وما نهتم به من مشاكل العصر.. لذلك فنحن نهتم بالأمثال العامية، وبسير الأبطال، كما نفعل تماماً مع

---

(١) ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي.

(٢) ينظر: ظاهرة السيار الإسلامي: محسن الميلي ص (٥١ ـ ٧٣).

(٣) انظر: تقديس العقل وتقديمه على النقل، الفصل الأول من هذا الباب.

(٤) ينظر: كتابه التراث والتجديد / نشر مكتبة الجديد تونس، ومجلة اليسار الإسلامي العدد الأول، ماذا يعني اليسار الإسلامي؟.

النصوص الدينية، ونهتم بالأغاني الشعبية»[1].

ويستاء حسن حنفي من الرجوع السلفي إلى النصوص ويقول: «ورجعنا إلى قال الله، وقال الرسول»[2].

ب ـ الموقف من التراث:

يقف اليسار من التراث موقفاً نقدياً تاريخياً «فهو يعني إبراز مواطن التقدم في التراث من عقلانية وطبيعية وديمقراطية، وهو ما نحتاجه في قرننا هذا»[3].

وحتى تعود للإنسان قيمته التي فقدها عندما اعترف بالله، يدعو اليسار الإسلامي الإنسان إلى التحرر من كل سلطة إلا من سلطة العقل والواقع، وهذا العمل يقتضي ضرب كل الأطروحات الرجعية، والانطلاق في التجديد.

ويرى حسن حنفي أن «السبب في فقد الإنسان لقيمته في تراثنا الإسلامي يرجع إلى سيادة الاختيار الأشعري» «وقد تكون هذه السيادة هي إحدى معوقات العصر، لأنها تعطي الأولوية لله في الفعل، وفي العلم والحكم، وفي التقويم، في حين أن وجداننا المعاصر يعاني من أخذ زمام المبادرة هذه، باسم الله مرة، وباسم السلطان مرة أخرى، ومن ثم فالاختيار البديل: هو الخيار الاعتزالي.. الذي قد يكون أكثر تعبيراً عن حاجات العصر، وأكثر تلبية لمطالبه»[4].

يريد الكاتب انتزاع السيادة من الله جل جلاله، كبرت كلمة تخرج من أفواههم، وما تخفي صدورهم أعظم، ولا شك أن هذه نزعة إلحاد ماركسية لا تحتاج إلى بيان، وإنْ موّهوا وخدعوا.

---

(١) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي /مجلة اليسار الإسلامي/ العدد الأول.
(٢) التراث والتجديد /ص ٢٨٢/ حسن حنفي.
(٣) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي.
(٤) التراث والتجديد: حسن حنفي (ص ٢١).

● وهنالك **تجديد** على مستوى **اللغة والمصطلحات**[1]:

يرى حسن حنفي أن **اللغة التقليدية في تراثنا قاصرة**، وتتضمن عيوباً كثيرة منها:

ـ أنها لغة إلهية، تدور الألفاظ فيها حول الله.. بل إن لفظ الله لا يعبر عن معنى معين، فهو صرخة وجودية.. إذ أن الله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبد هو الحرية، وعند المظلوم هو العدل، أي أنه في معظم الحالات «صرخة المضطهدين»، ثم ينتهي حنفي إلى أنه «لا يمكن إيصال أي معنى بلفظ «الله» لأن الله حوى كثرة من المعاني لدرجة أنه يدل على معاني متعارضة»[2].

فلا داعي إذن طبقاً لهذا الكلام، إلى استعمال لفظ الجلالة، لتحل محلها كلمات: الخبز والحرية والعدل والحب والإشباع والإنسان الكامل!!.

● إن كل الأقنعة والتمويه باسم الإسلام، قد انقشعت، وها هو منهج المصطلحات الماركسية يبث سمومه بلا وجل ولا تردد..

ـ وانظر إلى قوله كذلك: «إن اللغة القديمة «لغة دينية» تشير إلى موضوعات دينية خالصة مثل: دين، ورسول، ومعجزة، ونبوة.. وهي لغة عاجزة عن إيصال مضمونها في العصر الحاضر!!.

وهي ـ كذلك ـ لغة تاريخية صورية مجردة.. ولذلك فاليسار يروم تأسيس لغة جديدة تستعمل الألفاظ التي يقبلها العصر!!».

يقول حنفي: «إن في العصر ألفاظاً تجري مجرى النار في الهشيم مثل: الأيديولوجيا، والتقدم والحركة والتغير، والتحرر والجماهير،

---

(١) انظر ظاهرة اليسار الإسلامي: محسن الميلي (ص ٦٢ ـ ٦٤).

(٢) التراث والتجديد: (ص ١٢٩) وما بعدها.

والعدالة.. وهي ألفاظ لها رصيد نفسي لدى الجماهير، والتي يمكن أن تعبر عن ثقافة وطنية»[1].

ـ وهذه اللغة مفتوحة وعقلانية، أما ألفاظ «الله والجنة والنار والآخرة والحساب والعقاب، فهي ألفاظ قطعية صرفة، لا يمكن التعامل معها، دون فهم أو تفسير أو تأويل» ويضيف قائلاً: «بأن الألفاظ يجب أن يكون لها مقابل في الواقع الحسي، فألفاظ «الجن والملائكة والشياطين، بل والخلق والبعث والقيامة، ألفاظ تجاوزها الحس والمشاهدة، ولا يمكن استعمالها لأنها لا تشير إلى واقع، ولا يقبلها كل الناس».

ـ وفي نظر اليسار أن ذلك سينقل عصرنا من «مرحلة التمركز حول الله إلى مرحلة التمركز حول الإنسان، وتلك مهمة التراث والتجديد في أول محاولاته من أجل إعادة بناء علم أصول الدين، عل أنه علم الإنسان»[2]. «إننا إذا فعلنا كل ذلك أمكننا التغيير والتجديد ما دمنا قد تخلينا عن «لغة اللاهوت»، وتخلصنا من كل المفاهيم الغيبية المعيقة للتقدم والانطلاق..».

وإنها لجرأة ـ وأي جرأة ـ يعلنها اليسار الإسلامي على الله، والوحي والإسلام، باسم الإنسان والعقل والتجديد[3].

جـ ـ الفهم المقاصدي للشريعة[4]:

الشريعة عند أصحاب اليسار جاءت لتحقيق بعض المقاصد العامة. والمقاصد العليا التي جاءت الشريعة لتحقيقها في نظرهم خمسة هي: الإنسانية، والعدل الاجتماعي، الحرية السياسية، المبدئية، التقدم المستمر نحو الأفضل.

---

(١) السابق: (ص ١٤٠) وما بعدها.

(٢) التراث والتجديد: (ص ١٤٠).

(٣) ظاهرة اليسار الإسلامي: (ص ٦٤) محسن الميلي.

(٤) انظر: ظاهرة اليسار الإسلامي، (ص ٦٤ ـ ٦٨).

لكن ما الوسائل المعتمدة في تحقيق هذه المقاصد؟ هل يحددها الوحي أم يختارها الإنسان؟!.

لدى اليسار أن المصلحة أصل مستقل في التشريع، وأنه لا سلطة إلا لضرورة الواقع الذي نعيش فيه، «لقد أصبح الواقع هو المجدد للاختيارات والقوانين، أما دور الشرع فثانوي، لأن اختياراتنا هي التي تحدد طبيعة القوانين، وذلك يعني أن القوانين والأحكام المنزلة في القرآن، والواردة في السنة قابلة للتأويل والتعطيل، ونحن في كل ذلك نستلهم روح الشريعة ومقاصدها.. ولعلنا لا نكون بعيدين عن «المادية التاريخية» إن لم نقل من أكبر ممثليها والداعين إليها»[1].

د ـ رؤية اليسار في السياسة والاقتصاد والاجتماع:

العلمانية:

● إن ما سبق من حصرهم لمقاصد الشريعة ـ حسب رأيهم ـ يفتح الباب مباشرة **للعلمانية**، إذ أن الفهم التقدمي للإسلام يعلن رفضه لفكرة «حاكمية الله»، التي دعا إليها المفكرون الإسلاميون المعاصرون[2].

ـ فمحمد عمارة يدعو إلى العلمانية الصريحة في كتابه «الإسلام والسلطة الدينية». إذ يقول: «أما إسلامنا فهو علماني ومن ثم فإن مصطلح العلمانية لا يمثل عدواناً على ديننا بل على العكس، يمثل العودة بديننا إلى موقفه الأصيل»[3].

ـ أما حسن حنفي: فيرى «أن العلمانية هي أساس الوحي، **فالوحي علماني في جوهره**، والدينية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور»[4].

---

(١) ينظر: مجلة (١٥ ـ ٢١) العدد الأول ـ حوار مع حسن حنفي.
(٢) الإسلام والسلطة الدينية: (ص ١٠٠ ـ ١٠١).
(٣) ينظر: ظاهرة اليسار الإسلامي: (ص ٧٠) وما بعدها.
(٤) التراث والتجديد: (ص ٧٢).

ـ ويرى الدكتور محمد عابد الجابري: أن الوحي سلطة مرجعية «تضايق الحاضر، وتنافس المستقبل والجديد». فهو ينكر أنْ يكون هنالك وحي، وإن آمن به، فهو يعتبره وليد زمانه، أي هو جزء من التاريخ أو تجربة تاريخية[1].

● **أما الرؤية الاقتصادية:**

فأبرز أهدافهم أن يصلوا إلى إقامة المجتمع الاشتراكي، إقامة مجتمع بلا طبقات، وبعض الملكية الفردية، مع تبني أسلوب الملكية الجماعية، وتشجيع العمل النقابي والإصلاح الزراعي.

وهم يعتمدون **الثورة الاشتراكية**. يقول حسن حنفي:

«بالنسبة لنا: الاشتراكية قضية مبدأ دائم، وليست قضية نظام عابر يتغير بتغير الحكام، وتظل الجماهير الإسلامية في كلتا الحالتين فاترة لا يعنيها الأمر في شيء» «هذا إضافة إلى أن الإسلام ذاته ضد تجميع رأس المال في أيدي القلة **﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾**»[2].

«ويرفض الملكية الخاصة والمجتمع الطبقي، ويقول بالمساواة، ويرفض الاستغلال والاحتكار.. ويعطي الإمام حق التأميم والمصادرة للمال المستغل لصالح المسلمين..». «مهمة اليسار الإسلامي إعادة توزيع ثروة المسلمين بين المسلمين، كما شرع الإسلام، طبقاً للعمل والجهد والعرق»[3].

هكذا؟! لو أردتم شرع الإسلام لتركتم هذا التلفيق المريب، ورفض حكم الله في الاقتصاد وغيره؟!.

---

(١) الخطاب العربي المعاصر: محمد عابد الجابري ص (٥٥ ـ ٥٦) نقلاً عن ظاهرة اليسار الإسلامي ص ١٣٢.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

(٣) ماذا يعني اليسار الإسلامي (ص ٣٤ ـ ٣٥).

● **الأسرة وحرية المرأة وحقوقها:**

لا تختلف نظرة هؤلاء عن نظرة بقية العصرانيين إلى المرأة، ودعوتهم إلى تحريرها وحريتها كما يزعمون، وقد ناقشنا هذا الموضوع في المبحث الثاني من هذا الباب[1].

● **وهكذا نلاحظ أن اليسار الإسلامي:**

- يتبنى العلمانية وفصل الدين عن الحياة.

- ويتبنى الثورة على طريقة الماركسيين، ولكنه يعرضها بثوب إسلامي شفاف ليخدع الأمة بذلك.

- رفض نصوص الكتاب والسنة إذا تعارضت مع ما يرونه من مصلحة المجتمع، مع التأويل والتعطيل لهذه النصوص.

- تجديد في اللغة والمصطلحات، لتصبح لغة القرآن لغة تقليدية ميتة، لا تفي بالحاجة، على طريقة تعامل النصارى مع اللغة اللاتينية.

إن التلاعب بالشعارات، للخروج عن الإسلام، صار أمراً عادياً في غياب هيمنة الإسلام وحكمه في جميع ميادين الحياة، عند هؤلاء الناس.

---

(١) انظر: شذوذات العصرانيين في ميادين الفقه المختلفة ـ المبحث الثاني من هذا الباب ص ٢٥٧.

الباب الرابع

المدرسة العصرانية في الميزان

الفصل الأول: مفهوم التجديد بين الهدم والبناء.

الفصل الثاني: العصرانية بين الجذور الغربية والصلات المشبوهة.

الفصل الثالث: العصرانية: مخاطر ومتاهات.

الفصل الرابع: العصرانية دعوة إلى العلمانية.

تمهيد:

لقد عرفنا مما سبق مدى تعلق العصرانيين بأذيال الغرب، ومزاعمهم العريضة في التجديد والإصلاح، وأنهم من أجل دفع التعارض رفضوا نصوص الكتاب والسنة كلياً أو جزئياً. . وحقيقة هؤلاء أنهم:

«منهزمون نفسياً، والهزيمة داء وأي داء، الهزيمة النفسية أخطر على الأمم من الهزيمة العسكرية، فالهزائم العسكرية قد يستعيد أصحابها قوتهم، أما المهزوم نفسياً فهو يائس يعتقد أن خصمه أفضل منه، وسيصبح في خطر جسيم»[1].

وهذا ما توصل إليه ابن خلدون: «من أن المغلوب مولعٌ أبداً بالاقتداء بالغالب، في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده»، «والسبب في ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه»[2].

وقد ظن بعض المسلمين أن تغلب الكفار عليهم، إنما حصل بسبب عقائدهم وقوانينهم فبدأوا ينادون بأخذ ذلك كله.

«ولم يكن هؤلاء الذين نادوا بالتجديد والإصلاح صادقين، بل هم كاذبون، وقد قصدوا تفريق جموعنا وإضعاف قوتنا، وقد أدرك السلطان عبد الحميد خطورة هذه الدعوة، وأدرك أنها ستكون المعول الذي تهدم به الخلافة الإسلامية. يقول في مذكراته: «والتجديد الذي يطالبون به تحت اسم الإصلاح سيكون سبباً في اضمحلالنا، ترى لماذا يوصي أعداؤنا الذين عاهدوا الشيطان بهذه الوصية بالذات؟ لا شك أنهم يعلمون علم اليقين أن

---

(١) الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: د. عمر سليمان الأشقر ص ٩٢.

(٢) مقدمة ابن خلدون: (١/ ٢٥٨) مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني ـ بيروت / ١٩٧٩ م.

الإصلاح هو الداء وليس الدواء، وأنه كفيل بالقضاء على هذه الإمبراطورية»[1].

وينطبق على هؤلاء المجددين الأشرار قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ (البقرة: ١١ ـ ١٢).

والمناداة بأخذ الحضارة الغربية خيرها وشرها، حلوها ومرها، قصور في العقل وضحالة في الفكر، وقد أودى بكثير من هؤلاء المتجددين في المهالك وسوء العواقب في دينهم ودنياهم، إذ كانت سبباً في الانحراف والفسق ورفض ما هو معلوم من الدين بالضرورة.

والعاقل من أخذ منها النافع بعد إبعاد ما يناقض الإسلام.

يقول العلامة أحمد محمد شاكر رحمه الله، فيمن حكَّموا عقولهم بنصوص الكتاب والسنة: «وليعلم من يريد أن يعلم:

مَنْ رجل قرأ شيئاً من العلم فداخله الغرور، إذ أعجبته نفسه فتجاوز بها حدّها، وظن أن عقله هو العقل الكامل، فذهب يلعب بأحاديث النبي ﷺ، يصحح فيها ما وافق هواه، وإن كان مكذوباً موضوعاً، ويكذب مالم تعجبه وإن كان الثابت الصحيح.

أو من رجل استولى المبشرون على عقله وقلبه، فلا يرى إلا بأعينهم، ولا يسمع إلا بآذانهم.. ثم (هو) سماه أبواه باسم إسلامي، وقد عد من المسلمين، فيأبى إلا أن يدافع عن هذا الإسلام، الذي ألبسه جنسية، ولم يعقده ديناً، فتراه يتأول القرآن ليخضعه لما تعلم من أستاذيه ولا يرضى من الأحاديث حديثاً يخالف آراءهم وقواعدهم..

---

(١) مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية: (ص ١٩٥)، وانظر الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية: (ص ٩٣).

أو من رجل مسلم عُلّم في مدارس منسوبة للمسلمين، فعرف من أنواع العلوم كثيراً، ولكنه لم يعرف من دينه إلا نزراً أو قشوراً، ثم خدعته مدنية الإفرنج وعلومهم عن نفسه، فظنهم بلغوا في المدنية الكمال والفضل، ثم استخفه الغرور فزعم لنفسه أنه أعرف بهذا الدين، وأعلم من علمائه وحفظته وخلصائه، فذهب يضرب في الدين يميناً وشمالاً، ويرجو أن ينقذه من جمود رجال الدين!! وأن يصفيه من أوهام رجال الدين!! أو من رجل.. أو من رجل..»[1].

لقد لخّص العلامة المحقق منطلقات التيار العصراني، ووقف على انحرافات رجاله ومزاعمهم الفارغة في التجديد.

وسوف نتحدث في هذا الباب عن هذا التجديد المزعوم، وعن الانحرافات العقدية والفكرية التي وقع فيها أصحاب هذا التيار، مبينين الحكم الشرعي من الكتاب والسنة وآراء الأئمة الثقات، فيما أغفلنا الحديث عنه في ثنايا الكتاب.

---

(١) الجامع الصحيح لسنن الترمذي: تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، جـ ١ / ص ٧١ ـ ٧٣.

الفصل الأول

مفهوم التجديد بين الهدم والبناء

- مفهوم التجديد عند العصرانيين.
- مفهوم التجديد في الإسلام.
- مجالات التجديد في الإسلام:

١ ـ في العقيدة.

٢ ـ التجديد في مجال النظر والاستدلال.

٣ ـ التجديد في مجال السلوك الفردي والاجتماعي.

٤ ـ فضح المناهج والاتجاهات المخالفة للإسلام.

- الفرقة الناجية: من هم أصحابها؟!
- الفرق بين التجديد والابتداع.

الفصل الأول

مفهوم التجديد بين الهدم والبناء

ظهر العصرانيون وهم يملأون الدنيا ضجيجاً برغبتهم في التجديد، وبضرورة فتح باب الاجتهاد على مصراعيه، وأنهم هم أصحاب الفكر الديني المستنير، يريدون أن ينتشلوا الأمة من كبوتها وتأخرها..

إلا أن حقيقتهم قد ظهرت لكل عاقل منصف، فهم تستروا برداء التجديد بعد أن سقطت شعارات القومية العلمانية، أو اليسار الإسلامي.. وكانوا من جنودها إلى أمد غير بعيد.

إن مزاعم التجديد التي رفع هؤلاء لواءها، كشفت الحقيقة جلية، وهي أن التجديد لديهم، يعني تطوير الدين على طريقة عصرنة الدين عند اليهود والنصارى.

● **ولذلك فإن التجديد عندهم يعني:**

ـ هدم العلوم المعيارية: أي علوم التفسير المأثور وأصوله، وعلم أصول الفقه، وعلم مصطلح الحديث.

ـ ويعني رفض الأحاديث الصحيحة جزئياً أو كلياً، بحجة ضرورة ملاءمتها لعقولهم ولمصلحة الأمة، وظروف العصر الحاضر.

ـ ورفض السنة غير التشريعية، أي فيما يخص شؤون الحكم والسياسة، وأمور الحياة والمجتمع عموماً..

ـ التجديد عندهم يعني الانعتاق من إسار الشريعة إلى بحبوحة القوانين

الوضعية، التي تحقق الحرية والتقدم، ولذلك هاجموا الفقه والفقهاء بلا هوادة[1].

ـ والتجديد عندهم يعني فتح باب الاجتهاد بحيث «يكون فيه لكل مسلم نصيب، وحق الفقه في الإسلام أن يكون فقهاً شعبياً».

ـ التجديد عندهم يعني الدعوة إلى اجتهاد جماعي شعبي، يرد للأمة حقها الذي كان يمارسه عنها الفقهاء، ويمكن أن يصبح إجماع الأمة المسلمة، وتصبح أوامر الحكام، أصلين من أصول الأحكام في الإسلام[2].

ـ والمجتهد عند الدكتور عمارة هو: «من لا علم له بالقرآن والسنة واللغة والأصول، لأن مجال الاجتهاد هو أمور الدنيا، ولا يشترط لها كل هذا من العلوم الشرعية، وإنما يشترط أن يكون المرء «مستنيراً» عقلانياً، تقدمياً، ثورياً وحضارياً، وذلك من أغرب الأقوال في الاجتهاد»[3].

ـ الاجتهاد والتجديد عندهم يعني تحقيق المصلحة وروح العصر، يقول حسن حنفي: «وما يهمنا هو روح العصر، وما نهتم به من مشاكل العصر، لذلك فنحن نهتم بالأمثال العامية وبسير الأبطال، كما نفعل تماماً مع النصوص الدينية، وبالأغاني الشعبية».[4] «والمصلحة أصل مستقل في التشريع عندهم ولا سلطة إلا لضرورة الواقع، لقد أصبح الواقع هو المحدد للاختيارات والقوانين، أما دور الشرع فثانوي، لأن اختياراتنا هي التي تحدد طبيعة القوانين، ونحن نستلهم خلال ذلك روح الشريعة ومقاصدها»[5].

---

(١) ينظر: الباب الثالث، مزاعم التجديد ص ٢١٥ وما بعدها.

(٢) انظر تجديد الفكر الإسلامي: د. حسن الترابي ص ١٢.

(٣) محمد عمارة في ميزان أهل السنة والجماعة: سليمان بن صالح الخراشي / ص ٤٧٠.

(٤) ماذا يعني اليسار الإسلامي: حسن حنفي العدد الأول.

(٥) مجلة (١٥ ـ ٢١) العدد الأول، حوار مع الدكتور حسن حنفي.

ـ فالاجتهاد عند العصرانيين يعني طريقة الاجتهاد حَسْب فهم المستشرقين. يقول المستشرق جيب: «تعود الكلمة الفصل إلى ضمير الشعب بمجموعه، إن صوت الشعب ـ معترف به في الإسلام الحنيف ـ على أنه يأتي بعد صوت الله وصوت النبي ﷺ، والمصدر الثالث لليقين الديني».

هذا هو التجديد لدى العصرانيين، بل يزعم بعضهم إمكانية أن يكون مجدد القرن الخامس عشر منهم...

«والباعث لهذا النوع البدعي الخاطىء، الجهل بالسنة ومنهج السلف من ناحية، والغرور وحب الشهرة، والانهزام النفسي وحب الزعامة، والإعجاب المفرط بالغرب من ناحية أخرى.

ووسائله رفع الشعارات الزائفة وإثارة الشبه، وبلبلة الأفكار والطعن والتشكيك في الأصول والقواعد الشرعية، والاستخفاف والسخرية بعلماء السلف، والإعجاب بكل جديد، والبغض لكل تليد»[1].

● **فما هو التجديد في الإسلام؟!:**

وهل يحق لهؤلاء أن يزعموا لأنفسهم شيئاً من ذلك؟!

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة مَنْ يجدد لها دينها»[2].

قال العلقمي: معنى التجديد «إحياء ما اندرس من العمل من الكتاب والسنة والعمل بمقتضاهما».

وقال المناوي: «يجدد لها دينها، أي يبين السنة من البدعة ويُكثر

---

(١) مناقشة هادئة لبعض أفكار الترابي / ص ٣٣/ الأمين الحاج محمد أحمد/ الطبعة الأولى.
وينظر أيضاً: الفرق بين التجديد السني والتجديد البدعي (ص ٣١ ـ ٤٨) من نفس الكتاب.

(٢) رواه أبو داود في سننه «كتاب الملاحم»، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، جـ ٢ /ص ١٥٠، رقم (٥٩٩)/ المكتب الإسلامي.

العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم... قالوا: ولا يكون إلا عالماً بالعلوم الدينية الظاهرة والباطنة»[1].

«فتجديد الدين يعني إعادة نضارته ورونقه وبهائه وإحياء ما اندرس من سننه ومعالمه، ونشره بين الناس».

وجاء في الحديث الشريف: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»[2].

«فهذه الفئة أو الطائفة الموعودة، يستحيل أن يكون المجدد من غيرها استحالة تامة، إذ هي القائمة بأمر الله، المتبعة لشرعه، السائرة على هدي نبيه، ومن ثم فهي المجددة لهذا الدين، الواقفة عند حدود الله، حيث تباعدت الأهواء بأصحابها، فلم يبق لهم من الدين إلا الانتساب..».

«فليس من التجديد هذا الاتجاه العقلاني، الذي يحاول تفسير النصوص الشرعية، وفق مقتضيات الفلسفة البشرية، وليّ عنق النصوص ليّاً ليتفق معها.. وليس من التجديد تلك المناهج التي اختطها بعض الدعاة استجابة للضغوط الواقعية، والمتغيرات الاجتماعية والدولية ـ كما زعموا ـ واقتنعوا بموجبه بضرورة استبعاد بعض القضايا الشرعية والعقدية المسلّم بها لدى الأمة وعلمائها، منذ عصر الصحابة حتى اليوم»[3].

إن الحركة التجديدية بحاجة إلى أعلام مجددين، كعمر بن عبد العزيز رحمه الله في العلم وإقامة العدل، والإمام الشافعي في فقهه وتأصيله، والأئمة: ابن تيمية والإمام أحمد وابن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً.

---

(١) فيض القدير: شرح الجامع الصغير، ٢/ ٢٨١ للمناوي، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

(٢) رواه البخاري رقم: (٧٣١١) ـ كتاب الاعتصام، ومسلم كتاب الإيمان /رقم ١٥٦/ ج ١/ ص ١٣٧.

(٣) التجديد في الإسلام: إصدار المنتدى الإسلامي /لندن/ ١٤١٠ هـ/(ص ٣٩ ـ ٤١) بتصرف واختصار.

أين فراخ العقلانيين العصريين المنهزمين أمام مادية الغرب وفجوره وإلحاده؟! من هؤلاء العلماء الأبرار؟! أيجدد في دين الله من هو بحاجة إلى توبة نصوح يقوّم بها سلوكه، وشطحات أفكاره من سموم الأعداء، فلا يهدم باسم البناء، ولا يخرب باسم التجديد والاجتهاد.

«والتجديد المقصود ليس تغييراً في حقائق الدين الثابتة القطعية لتلائم أوضاع الناس وأهواءهم، ولكنه تغيير للمفهومات المترسبة، ورسم للصورة الصحيحة الواضحة، ثم هو بعد ذلك تعديل لأوضاع الناس وسلوكهم حسبما يقتضيه هذا الدين»[1].

«والظاهر أن أساطين الكفر أيقنوا بعد التجارب الطويلة أن هدم الإسلام من الخارج والوقوف أمام تياره طريق غير ناجح، فسلكوا لهدمه طريقاً آخر من الداخل، يدعو لإصلاح الإسلام وتجديد أفكاره وأحكامه، والاستخفاف بتراثه، وبكل قديم فيه، وهي طريق خادعة تجذب بعض الخاوين من الثقافة الإسلامية والعلوم الشرعية.

ولذلك ظهرت فئة ـ العصرانيين ـ في هذا العصر تدعو إلى تجديد الفكر الإسلامي، وتجديد أصول الفقه، وأصول الحديث، وتجديد العلوم الإسلامية، لا بطريقة عرض تلك العلوم عرضاً سهلاً، أو إيجاد بعض الأحكام الشرعية لمواجهة بعض المستجدات، وإنما انصبت الدعوة على تغيير الأفكار الإسلامية، وتغيير أصول العلوم الإسلامية»[2].

لقد قامت مجلة المسلم المعاصر، واليسار الإسلامي، من أجل هذا الهدم المتعمد باسم التجديد، وكانت محاولات مستمرة باسم تجديد أصول الفقه وأصول الحديث وأصول الفكر الإسلامي، ولكن دعوتهم هذه لم تلق

---

(١) التجديد في الإسلام: ص ٤٢ /المنتدى الإسلامي/ الجزء الأول.

(٢) مفهوم التجديد بين السنة النبوية وأدعياء التجديد المعاصرين د./محمود الطحان / مكتبة التراث ـ الكويت.

رواجاً، ولم يكترث بها أحد من علماء المسلمين ومفكريهم، بل ولا شبابهم الذين ليس لهم رصيد من الثقافة الإسلامية[1].

● **مجالات التجديد في الإسلام[2]:**

هنالك ميادين كثيرة لمن أراد أن يجدد حقاً سواء في مجالات العقيدة أو السلوك الفردي والاجتماعي، أو في مجال النظر والاستدلال.

١ ـ **في العقيدة:** لا يعني ذلك إضافة شيء آخر إلى العقيدة الربانية! بل من التجديد تخليص العقيدة من الإضافات البشرية لتصبح نقية صافية، ليس فيها أثر لصنع البشر وآرائهم وفلسفاتهم.

وذلك حتى تفهم بالبساطة والوضوح، التي فهمها سلف هذه الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

ـ وأول خطوة في مجال التجديد العقدي، هو تنقية العقيدة الإسلامية من آثار علم الكلام، ومن جميع ما علق بها من آراء دخيلة.

ـ ومن ذلك ربط آثارها الواقعية بها، ولا بد من العمل على إحياء الآثار القلبية النابعة من صدق الإيمان، ومن أعمال القلب: كالحب والبغض والخوف والرجاء والإنابة والخشوع..

وقد غفل كثير من الناس عن هذه المعاني حتى كاد يصبح الحديث عن صحة القلب ومرضه وعلاجه وقفاً على الصوفية الذين أسرفوا وغلوا حتى عبدوا ذواتهم ومشايخهم، بينما كان أئمة السلف نماذج حية في صدق اللجوء إلى الله وعمق الصلة به.

إن من واجب الحركة التجديدية أن تولي هذه القضية عناية كبيرة، فهي الأثر العملي المباشر للتصديق بالعقيدة، وإن معالجة الانحراف الظاهر على كافة المستويات لا يستقيم إلا إذا صاحبه معالجة الانحراف الباطني.

---

(١) السابق: (ص ٥) د. محمود الطحان.

(٢) ينظر: التجديد في الإسلام: المنتدى الإسلامي (ص ٤٣ ـ ٤٩).

ـ ومن التجديد المطلوب في مجال العقيدة عرض الانحرافات الجوهرية التي تعيش اليوم بين المسلمين، مما له تعلق في جوانب الاعتقاد مع بيان خطرها والتحذير منها.

فالحديث عن موالاة الكافرين وحكم هذه الموالاة، وبيان تأثيرها على النفوس، والخطر الزاحف بسببها.. أصبح مطلباً ملحاً بعد أن لحق كثير من المنسوبين لهذا الدين بمعسكرات الكفر بشكل أو بآخر، مع الانفتاح الرهيب للمسلمين على المجتمعات والشعوب الوثنية والنصرانية.

وكذلك الحديث عن قضية الحكم بغير ما أنزل الله وحكمه، وضرورة رد الأمور كلها إلى شرع الله، لأن هذا هو مقتضى الإسلام والتسليم، وشرط الإيمان الذي لا يكون إلا به.

كل هذا أصبح التركيز عليه ضرورة، وخاصة مع سيطرة القانون الوضعي على كثير من بلاد المسلمين، ومع انتشار الأفكار التي تشكك في الإسلام وصلاحيته للبقاء والحكم[1].

٢ ـ **التجديد في مجال النظر والاستدلال**: وذلك بإحياء الحركة العلمية التي تهدف إلى دراسة القضايا الشرعية كلها دراسة مبنية على الدليل الشرعي الصحيح، بعيداً عن عصبية المذاهب.. ولا بد من صياغة المنهج السليم للتفقه من خلال استقراء طريقة السلف الصالح رضوان الله عليهم[2].

٣ ـ ويشمل التجديد أيضاً: **التجديد في السلوك الفردي والاجتماعي**: وذلك بالعمل على صياغة حياة المسلمين صياغة إسلامية شرعية.

فالانحراف السلوكي بات خطيراً حقاً في حياة المسلمين، وأصبحت طريقة الوعظ والتعليم لا تفي بالغرض، لأنها لا تربط المعاني بقضايا سلوكية واقعية يجب أن تعالج.

---

(١) التجديد في الإسلام: (ص ٤٤ ـ ٤٧) بتصرف وإيجاز.

(٢) السابق: (ص ٤٧ ـ ٤٨).

وكذلك من يعنى بالحلال والحرام تفقهاً مجرداً، لكنه لا يربط هذه الأحكام بأصولها الإيمانية التي تدعو إلى العمل بها وامتثالها، كل هؤلاء بحاجة إلى جهود وبيان من قبل الحركة التجديدية.

٤ ـ ويشتمل التجديد كذلك **فضح المناهج والاتجاهات** والأوضاع والمبادىء والسبل المخالفة للإسلام، ليحيي من حيّ عن بينة، ويهلك منه لك عن بينة.

ولقد كان من مهمة الرسل ـ صلوات الله عليهم ـ كشف طريق الضلال لئلا يلتبس بطريق الحق[1].

● **فالفرقة الناجية**: هي التي تسير على نهج الرسل في الاعتقاد وغيره، وهي فرقة من ثلاث وسبعين فرقة، ولذلك فليس للفرق التي تشايعت على الباطل، وتآلفت على الهوى من التجديد نصيب، كيف تعتبر مجددة؟ وهي تهدم الدين وتشوّه حقيقته، وتلبسه ثوباً غير ثوبه؟!

إن التجديد لا بد أن ينطلق من وضوح في الاعتقاد: في الإيمان والأسمْاء والصفات، والولاء والبراء، والعبادة والتشريع، بحيث يكون مذهب أهل السنة والجماعة في كل ذلك، هو المنطلق الأساسي للتجديد.

فالدين ليس تصفيقاً لكل من يهتف باسم الإسلام، ولو كان يرفع راية الإسلام في يد، ثم يسعى للإجهاز عليه باليد الأخرى، الدين عندنا وحي منزل مضبوط، محفوظ يحتكم إليه في تقويم الناس، ومن اضطرب في يده هذا الميزان ضاع في التيه البعيد[2].

أين من هذا كله العصرانيون الجدد؟ أين هم من التجديد الشرعي القائم على السنة؟!

---

(١) السابق: (ص ٤٨ ـ ٤٩).

(٢) التجديد في الإسلام: (ص ٥٢ ـ ٥٣).

إن العصرانيين بمنطلقاتهم وتشكيكهم وعقائدهم، لفي انحراف خطير، بل لا بد للحركة التجديدية الشرعية من إصلاح هؤلاء، وتبيان وجه الحق لهم، ومن ثم بيان مفاسدهم واضطرابهم.

● «فهناك **فرق كبير بين التجديد والابتداع** ويمكن إجمال هذا الفرق على النحو التالي:

ـ إن تجديد الدين هو السعي لإحيائه وبعثه وإعادته إلى ما كان عليه في عهد السلف.. (والعصرانيون يحاربون كل قديم ولو كان نصوصاً قطعية).

ـ ومن ضرورات التجديد حفظ نصوص الدين الأصلية، صحيحة نقية حسب الضوابط والمعايير التي وضعت لذلك، خلافاً لتيار العصرانية.

ـ ومن مستلزمات التجديد سلوك المناهج السليمة لفهم نصوص الدين وتلقي معانيها من الشروح التي قدمتها لها المدرسة الفكرية السنية.

ـ وغاية التجديد جعل أحكام الدين نافذة تهيمن على أوجه الحياة، والمسارعة لرأب الصدع في العمل بها، وإعادة ما ينقض من عراها، بينما يرى العصرانيون أن العودة للماضي جمود وتخلف..

ـ ومن توابع ذلك الاجتهاد، وضع الحلول الإسلامية لكل طارىء، وتشريع الأحكام لكل حادث، ممن هم أهل للاجتهاد والنظر.

ـ ومن خصائص التجديد تمييز ما هو من الدين، وما يلتبس به، وتنقية الدين من الانحرافات والبدع، سواء كانت هذه الانحرافات ناتجة من عوامل داخلية، أو كانت بتأثيرات خارجية.

ـ فتجديد الدين إذن هو إحياء وبعث لمعالمه العلمية والعملية التي أبانتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف»[1].

---

(١) مفهوم تجديد الدين: بسطامي محمد سعيد، (ص ٢٩ ـ ٣٠) بتصرف يسير.

وقد وضع العلماء شروطاً وصفات للمجدد، إذ من الضروري أن يكون حائزاً على مواهب كثيرة وسجايا متعددة، تؤهله لهذه المهمة.

من ذلك أن يكون له قدرات فكرية، وملكات عقلية تمكنه أن يكون ذا قدم راسخة في العلوم وفنونها، وأن يكون ذا نظر ثابت يميز صحيحها من سقيمها. يقول السيوطي: «يشار بالعلم إلى مقامه» «وأن يكون جامعاً لكل فن».

و«لذلك اشترط بعض السلف أن يكون المجدد مجتهداً، وينبغي أن يجمع المجدد كثيراً من صفات الخير»[1].

ولا بد أن يكون المجدد «ناصراً للسنة قامعاً للبدعة»[2]، وأن تكون جهوده الإصلاحية ذات تأثير بيّن في اتجاهات الفكر والعلم، وفي حياة الناس.

شروط المجتهد: عندما ميَّع العصرانيون الاجتهاد، وجعلوه مطية لكل ناعق، فدعا بعضهم إلى اجتهاد شعبي جماعي (كالترابي)، وقال الشيخ محمد عبده «بأنه سهل المنال على الجمهور الأعظم من المتدينين، لا تختص به طبقة من الطبقات»[3].

بينما يشترط بالمجتهد:

ـ العلم بالعربية بصفتها لغة القرآن، والعلم بالقرآن ناسخه ومنسوخه، والعلم بدقائق آيات الأحكام المعروفة.

ـ العلم بالسنة القولية والفعلية والتقريرية.

---

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر: جـ ١٣ /ص ٢٩٥/ القاهرة/ مصطفى البابي الحلبي/ ١٩٧٨ م. وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ٥٣ /دمشق/ ١٩٧٤ م.

(٢) عون المعبود على سنن أبي داود /تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان/ المكتبة السلفية بالمدينة المنورة /١٩٦٩ م/ جـ ١١/ ص ٣٩١.

(٣) رسالة التوحيد: محمد عبده ص ١٦٢ ـ ١٦٣ ط دار المنار بمصر.

ـ العلم بمواضع الإجماع ومن أمثلتها: أصول الفرائض والمواريث، والعلم بمواضع اختلاف الفقهاء.

ـ العلم بالقياس، وبمقاصد الأحكام، كالرحمة ورعاية المصالح.

ـ إحراز القدرة على الفهم الصحيح والتقدير الحسن.

ـ هذا مع صحة النية وسلامة العقيدة[1].

أخي القارىء:

لعله تبين لك الفرق الكبير بين مزاعم التجديد (والاستنارة)، وحملات التشويه المقصودة، وبين التجديد القائم على السنة النبوية بالضوابط الشرعية كما يعرفها علماء الإسلام.

---

(١) ينظر: أصول الفقه: الشيخ محمد أبو زهرة / ص ٣٠٢ ـ ٣٠٩/ طبعة دار الفكر العربي/ القاهرة.